مجلة جامعة الملك سعود، م ١٠، العلوم الإدارية (٢)، ص ص ٣٤١ ـ ٣٨٨، الرياض (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

الشخصية العربية في الفكر الصهيوني/ الإسرائيلي من مرحلة الصراع إلى مرحلة التسوية

أحمد سعيد نوفل

قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، الأردن

(قدم للنشر في ١٨/١٢/١٤١٦هـ، وقبل للنشر في ٢٧/١٢/١٤١٧هـ)

ملخص البحث. يهدف البحث إلى معالجة كيفية تناول الفكر الصهيوني والإسرائيلي للشخصية العربية، منذ بداية الصراع العربي الصهيوني حتى هذا الوقت. وتأثير الفكر القومي الاستعماري الأوربي والتراث الديني والتاريخي اليهودي على الأيديولوجية الصهيونية في معاداتها للعرب، والأساليب التي اتبعتها الدعاية الصهيونية في تشويه صورة العرب. وتناول البحث دراسة ما كتب عن العرب والفلسطينيين في الأدب والفكر السياسي والاجتماعي الصهيوني/الإسرائيلي، وأدب الأطفال العبري ومناهج التعليم الإسرائيلية وحلل كتابات بعض الكتاب الإسرائيليين فيما يتعلق بالعرب، والصورة التي أرادت الصهيونية وإسرائيل رسمها عن الشخصية العربية، من أجل إنجاح مشروعها الاستيطاني في فلسطين. حيث ركزت على أن فلسطين هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وأن الوجود اليهودي فيها يعود لأسباب دينية تاريخية. ولقد لعب الفكر الصهيوني والإسرائيلي دورًا بارزًا في تشويه صورة العرب وأظهرهم بمظهر المتخلفين حضاريًا، كما نعتهم بشتى الصفات السلبية. مما خلق رأيًا عامًا إسرائيليًا معاديًا وعنصريًا ضد كل ما هو عربي. وأثار البحث إشكالية حول إمكانية حدوث تغير في الفكر الإسرائيلي بعد مسيرة السلام، من أجل إنجاح التسوية بين العرب واليهود. وشرح البحث موقف معسكر اليمين المتطرف ومعسكر السلام والموقف الرسمي للحكومة الإسرائيلية من العرب وانعكاس ذلك على مسيرة السلام. وأجرى البحث مقارنة بين ما كتب عن العرب قبل وبعد التسوية السلمية في الفكر الإسرائيلي، وتأثير ذلك على الرأي العام الإسرائيلي في مرحلة الصراع ومرحلة التسوية.

تمهيـــد

بدأت الحركة الصهيونية منذ السنوات الأولى للصراع العربي - الصهيوني في تشويه صورة العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص، من أجل أن يساعدها ذلك في تحقيق مخططاتها الاستيطانية وإنجاح مشروعها بإقامة وطن لليهود في فلسطين. ولقد سعت من خلال ممارساتها، إلى إظهار العربي بأنه متخلف ابن الصحراء غير قابل للتطور، واصفة إياه بجميع الصفات غير الحميدة. وأظهرت في المقابل اليهودي بأنه متحضر، غربي الطباع، يريد إقامة وطن في مكان خال من السكان، لا وجود للحضارة فيه، من أجل نقل الحضارة الغربية إليه. مستندة في ادعاءاتها تلك، إلى المأثور الديني والتاريخي لليهود، وبأنهم "شعب الله المختار" وأن حق وجودهم في فلسطين هو حق إلهي. واستمر مفكرو الحركة الصهيونية وإسرائيل (بعد قيامها)، في تشويه صورة العرب، طيلة سنوات الصراع في الشرق الأوسط، من أجل خلق رأي عام يهودي عنصري وعالمي معاد للعرب، يخدم وجودها.

وفي خضم الحديث عن إمكانية تحقيق السلام في الشرق الأوسط، بعد سنوات طويلة من الصراع والعداء بين العرب وإسرائيل، وخلق ظروف جديدة من الممكن أن تؤدي - كما يطالب البعض - إلى إقامة نوع من التعايش بين العرب والإسرائيليين في المنطقة. فإن دراسة الشخصية العربية في الفكر الصهيوني / الإسرائيلي يصبح أمرا ضروريا في هذا الوقت بالذات، لمعرفة تأثير ذلك على نوعية العلاقة التي من الممكن أن تنشأ بين العرب وإسرائيل. خاصة بعد وصول اليمين الإسرائيلي بزعامة بنيامين نتنياهو إلى السلطة في أيار/مايو ١٩٩٦م.

الهدف من البحث وإطاره

يهدف البحث إلى الكشف عن وجهة نظر الفكر الصهيوني / الإسرائيلي من العرب طيلة سنوات الصراع العربي - الإسرائيلي، وتحليل ما كتب عن العرب في الفكر الصهيوني / الإسرائيلي، من خلال دراسة كتابات السياسيين ومفكري الحركة الصهيونية،

فيما يتعلق بالعرب قبل قيام إسرائيل، وما كتبه بعض المفكرين والكتاب الإسرائيليون عن العرب بعد قيام إسرائيل، مما أدى إلى تشويه كامل للشخصية العربية عند الإسرائيليين. كما يهدف البحث، إلى الاطلاع على مفهوم الآخر ومعرفة موقفه من الذات العربية التي يراد التعايش معها، وكيفية رسم الشخصية العربية في الفكر والأدب الصهيوني/ الإسرائيلي. والأسباب التي تجعل الإسرائيليين ينظرون إلى العربي نظرة عنصرية فوقية، ويعتبرونه بمرتبة أدنى بدرجات من اليهودي. كما يسعى البحث إلى دراسة عوامل تكوين الشخصية العربية في الفكر السياسي والاجتماعي الصهيوني/ الإسرائيلي. وتأثير ما يكتب عن العرب، في الفكر والأدب الصهيوني/ الإسرائيلي، وأدب الأطفال ومناهج التعليم الإسرائيلية، في خلق رأي عام إسرائيلي معاد للعرب مما يؤثر بشكل كبير على التنشئة السياسية في إسرائيل وفي الموقف الإسرائيلي من العرب. وتطرح الدراسة إشكالية التغييرات الممكن حدوثها في الفكر الإسرائيلي المستقبلي، لكي تتلاءم مع مسيرة التسوية ونجاحها في الشرق الأوسط. واختارت الدراسة المنهج التحليلي المقارن، في دراسة الفكر الصهيوني ـ الإسرائيلي، لمعرفة كيفية رسم الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي. واستند البحث إلى ما كتبه المفكرون والأدباء الصهاينة والإسرائيليون عن العرب في الفكر والأدب ومناهج التعليم الدراسية والتصريحات السياسية. وحلل البحث مضمون استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي قبل وبعد التسوية من أجل توضيح معالم التغييرات في المجتمع الإسرائيلي وموقفه من العرب. ولن يتطرق البحث إلى موقف الفكر العربي من اليهود وإسرائيل، لأن هذا الموضوع خارج إطار البحث.

وقسم البحث إلى أربعة محاور، عالج المحور الأول، التأثيرات القومية الأوروبية والدينية ـ التاريخية لليهود على الأيديولوجية الصهيونية، وأساليب الدعاية الصهيونية في تشويه الشخصية العربية. والمحور الثاني، تناول الشخصية العربية في الفكر الصهيوني قبل قيام إسرائيل، وفي الفكر الإسرائيلي بعد قيام إسرائيل، من خلال التركيز على الفكر السياسي ـ الاجتماعي والأدب الإسرائيلي وأدب الأطفال وكتب المدارس الإسرائيلية.

ورسم المحور الثالث الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي وتأثير ذلك على الرأي العام الإسرائيلي. والمحور الرابع والأخير عالج إمكانية حدوث تغييرات في موقف الفكر الإسرائيلي من العرب في مرحلة التسوية، مع إجراء مقارنة لاستطلاعات الرأي العام الإسرائيلي، حول موقف الإسرائيليين من العرب والفلسطينيين، قبل وبعد التسوية.

المحور الأول

(أ) المؤثرات الأوروبية واليهودية في الأيديولوجية الصهيونية

تأثرت الأيديولوجية الصهيونية منذ بداية ظهورها في منتصف القرن التاسع عشر في أوروبا، بعاملين أساسيين، الأول، الفكر القومي الاستعماري العنصري الأوروبي الذي كان سائدا في القرن الماضي في أوروبا. والثاني، التراث الديني والتاريخي لليهود المأخوذ عن الكتب المقدسة اليهودية وقصص ملوك بني إسرائيل.

١ ــ تأثير الفكر القومي الاستعماري الأوروبي

من المعروف أن الأيديولوجية الصهيونية قد نشأت في أوروبا، كرد فعل اجتماعي وسياسي وديني عند اليهود في منتصف القرن التاسع عشر. في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الفلسفة العنصرية عند العرق الآري في بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا، ضد شعوب أوروبية وأمم أخرى [١ ، ص ص ٤٢ ـ ٤٥].

وتأثر زعماء الحركة الصهيونية بتلك الفلسفة وبمدرسة الإصلاح الاستعماري في أوروبا التي كانت تدعو إلى تهجير الأوروبيين البيض إلى إفريقيا وآسيا. حيث أيد الزعيم الصهيوني ماكس نوردو تلك المدرسة، وطالب بنقل العاطلين عن العمل إلى المستعمرات الجديدة، للعمل في الزراعة بدلا من أصحابها الأصليين الذين أسماهم "العناصر المنحطة" من أجل التخلص من مشكلة البطالة في أوروبا. وهذه السياسة هي نفس السياسة التي سارت عليها الحركة الصهيونية فيما بعد، حيث دعت إلى اتباع نفس الأسلوب الاستعماري الأوروبي في فلسطين، من أجل أن يحل :

"العنصر المتقدم حضاريا في السيادة على العنصر الأقل تقدما" [٢ ، ص٢٥].

وأوحت الحركة الصهيونية للأوروبيين بأنها قادرة على تمدين السكان الأصليين في فلسطين من خلال إرسال المستوطنين اليهود الأوروبيين إليها. وبأن الإنسان اليهودي الأوروبي هو أفضل وأكثر قدرة على العمل من الإنسان الفلسطيني الذي صورته على أنه "متخلف" غير قادر على العمل، وأنه لا يرتبط بالأرض، لأنه يعيش حياة البداوة المتنقلة في الصحراء.

كما يلاحظ في كتابات الرواد الأوائل للصهيونية، الذين قدموا إلى فلسطين من أوروبا، تركيزهم على الفروقات الشاسعة بين اليهودي "المتحضر" الذي يريد أن يطور فلسطين المتخلفة، وبين العربي "المتوحش" الذي يعيش خارج عصره بطريقة بدائية.

ودعا زعيم الحركة الصهيونية تيودور هرتزل إلى نقل الحضارة الغربية إلى الشرق الأوسط، عن طريق إقامة وطن لليهود القادمين من أوروبا في فلسطين.حيث قدم اليهود أنفسهم على أساس تفوقهم العرقي على العرب، كما هو الأوروبي متفوق على الشعوب الأخرى. وقال هرتزل :

"إن قيام دولة صهيونية في فلسطين، يشكل عنصرا أساسيا ومهما من عناصر مواجهة الروح الوحشية بأشكالها المختلفة السائدة في آسيا ومقاومتها" [٣].

أما بن غوريون، أول رئيس وزارة إسرائيلية، فقد ادعى أن فلسطين خالية من السكان، وأن القلة التي تعيش فيها متخلفة، أسهمت في تخلف فلسطين. كما انتقد الحضارة والتراث العربي، وأن قيام دولة يهودية سوف يساعد على نقل الحضارة الغربية إلى المنطقة، وقال :

"إن ثقتي ببني جنسي تجعلني أقول بأن الأثر الحقير والمخزي للتراث العربي لن يستمر إلى الأبد، وأن العرب حولوا بلدا مزدهرا ومأهولا بالسكان إلى صحراء" [٣].

كما أنه من خلال دراسة بعض الروايات اليهودية قبل قيام إسرائيل، يظهر أبطال الروايات بأن اليهود عندهم رسالة حضارية يريدون نشرها في المنطقة، ويواجهون ردود

فعل همجية من قبل العرب الذين يرفضون التطور ويظهرون كالأشرار. وهذه المعالجة في الأدب الإسرائيلي تشبه إلى حد بعيد معالجة الأدباء الغربيين للعلاقة بين المستوطنين الأوروبيين والوطنيين في آسيا وإفريقيا. وسوف نعود إلى مناقشة هذه القضية فيما بعد.

٢ ـــ التراث الديني والتاريخي

وأما العنصر الثاني الذي أخذت عنه الحركة الصهيونية، فهو التراث الديني والتاريخي لليهود، حيث استند مفكرو الحركة الصهيونية وزعماؤها في نظرتهم العنصرية وتفوقهم على الأمم الأخرى، إلى الأصول التوراتية الدينية، المؤيدة لمعتقداتهم في تفوقهم على الآخرين. فمن اعتقادهم بأنهم "شعب الله المختار" و"أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب" إلى ما جاء في التلمود:

"يا معشر اليهود إنكم أنتم البشر، أما الشعوب الأخرى فليسوا من البشر في شيء إذ أن نفوسهم آتية من روح نجسة، أما نفوس اليهود فمصدرها روح الله المقدسة، الشعب اليهودي جدير بحياة الخلود" [٤، ص ص ١٣٩ـ ١٦٣].

وكذلك ما جاء على لسان اليهود في مكان آخر في التلمود:

"نحن شعب الله في الأرض، سخر الله لنا الحيوان الإنساني، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان، نوع كالدواب والأنعام والطير ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، إن اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه".[٤]

واعتقاد اليهود بأنهم متفوقون على شعوب العالم (الغوييم) أو الأغيار، جعل ليوبنسكر، أحد مؤسسي الحركة الصهيونية، يقول:

"إن الشخص الذي لا يقول أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، لا بد أن يكون أعمى" [٥].

وهذا الإحساس عند اليهود، جعلهم يشعرون بالتفوق على الشعوب الأخرى، ولهذا فانهم ينظرون إلى كل من هو غير يهودي نظرة احتقار وكراهية. مستغلين بذلك ما

جاء في كتبهم المقدسة من أقاويل وقصص. وفي الوقت نفسه، فانهم يتهمون الأمم الأخرى التي تعاديهم بأنهم لا ساميون وعنصريون. وما جاء في الكتب المقدسة اليهودية أثر على تكوين الشخصية العربية في الفكر الصهيوني. وظهر العرب على أساس أنهم أقل أهمية من اليهود، وبأنهم "جبناء ومتوحشون وقتلة ويخونون الأمانة" والصفات غير الحميدة الأخرى. وهذه الشخصية تولدت وتأثرت بالتراث التوراتي والديني لليهود عن الشعوب الأخرى ومن ضمنهم العرب.

من هذه الخلفية الدينية العنصرية، و من ظروف النهوض القومي العنصري والاستيطاني في أوروبا، بنت الحركة الصهيونية أيديولوجيتها، ومارستها ضد العرب. ولقد اعترفت معظم دول العالم بعنصرية الحركة الصهيونية، عندما وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثلاثين عام ١٩٧٥، على اعتبار أن "الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري،" قبل أن يلغى القرار في عام ١٩٩٣م.

ولم تستغل الحركة الصهيونية المأثور الديني والتاريخي من أجل إظهار تفوق اليهود على الغوييم فقط، بل استغلته أيضا من أجل تثبيت ادعائها الديني والتاريخي في فلسطين، حيث استندت الحركة الصهيونية إلى ما جاء في التوراة من الاعتقاد بأن الرب أعطى "أرض كنعان" لليهود. وقد جاء في التوراة في السفر الأول:

"واجتاز ابر هام إلى مكان شكيم، وكان الكنعانيون في الأرض، وظهر الرب لأبر هام وقال (لنسلك أعطي هذه الأرض)" سفر تكوين١٢/٦-٧.

كما جاء أيضا:

"فقطع مع إبراهيم ميثاقا بأن يعطي لنسله هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات" سفر تكوين١٥/١٨.

وهكذا نرى أن الحركة الصهيونية وإسرائيل، يعتقدان بأن اليهود مميزون عن سائر البشر، وأن هذا التمييز ليس من صنع البشر، بل هو من صنع الرب، ولهذا فان على (الغوييم) أن يخضعوا في النهاية لإرادة ورغبة الخالق. كما أن وجود اليهود في فلسطين

هو حق لهم، بناء على هبة من الرب. وهذا يعني حسب معتقداتهم الدينية ـ بالتغاضي عن مدى صحتها ـ بأن على الآخرين الأقل حضارة أن يعملوا على تنفيذ الإرادة الإلهية، بخدمة اليهود وأهدافهم . وهذا الموقف موجه إلى كل من هو غير يهودي (الأغيار). وأما العرب، فان الموقف الصهيوني والإسرائيلي ضدهم، يتضاعف في تطرفه وعدوانيته، ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن، والمتخصص في الفكر الصهيوني، بأن الصهيونية تعتبر العربي ممثلا للأغيار في الماضي والحاضر، وأن الأغيار وصفوا في الأدبيات الصهيونية بأنهم:

"ذئاب، قتلة، متربصون باليهود، معادون أزليون للسامية" [١، ص ص١٧٩ـ١٨٥].

ويعود سبب ذلك إلى أن العرب يشكلون النقيض الرئيسي للمخطط الصهيوني في فلسطين. ولهذا فقد بنى الفكر الصهيوني والإسرائيلي موقفا متشددا وعدوانيا من العرب، حيث قأما بتشويه سمعة العرب بشتى الوسائل، من أجل خلق حقائق إسرائيلية ودولية، تخدم مصالح إسرائيل. وفرض الصراع العربي الإسرائيلي نفسه على المفكرين الإسرائيليين، الذين كتبوا عن الشخصية العربية، بطريقة غير موضوعية، مستندين أيضا إلى المأثور الديني والتاريخي في الكتب المقدسة اليهودية. ولم يكن الفكر الصهيوني فقط هو الذي شوه صورة العرب كما سنرى، بل إن السياسيين وزعماء الحركة الصهيونية وإسرائيل لهم آراء عنصرية وعدوانية أيضا ضد العرب، مبنية على ما جاء في التوراة والتلمود ضد من هو غير يهودي. سفر يشوع (١٠/ ٣٤).

ولخص الدكتور رشاد عبد الله الشامي أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية بكلية الآداب بجامعة عين شمس، دوافع العدوانية لدى اليهود الإسرائيليين تجاه العرب بأنها تعود بسبب الروح العدوانية في التراث الديني اليهودي ضد الأغيار، وتقاليد الروح العدوانية في الفكر والسلوك الصهيوني ، والخوف من ذكريات النازية، وتمجيد القسوة والقوة كمثل أعلى، وعسكرة المجتمع الإسرائيلي، والرفض العربي للوجود الإسرائيلي [٦، ص ص١٦٤ ـ ٢٥٥].

(ب) أساليب الدعاية الصهيونية في تشويه الشخصية العربية

لاشك أن الحركة الصهيونية قد استفادت من تشويه الشخصية العربية في دعاياتها ضد العرب، من أجل إقناع الرأي العام العالمي واليهودي بمصداقية مخططاتها في فلسطين، وبأن اليهود المتحضرون في أوروبا الذين لا وطن لهم، سوف يستوطنون فلسطين الخالية من السكان، وإن وجد بعض السكان، فهم متخلفون. ولقد اختارت الدعاية الصهيونية في هذا المجال ثلاثة أساليب في تشويه الشخصية العربية:

الأول، الأسلوب النفسي

عن طريق استخدام الغرائز والانفعالات الإنسانية، حيث ركزت على غريزة الخوف والشك، بإثارة شك اليهودي في الظواهر الاجتماعية المحيطة به، واستغلال القلق من المستقبل عنده، وإثارة كبريائه عن طريق التركيز على أنه أهم وأفضل من الشعوب الأخرى.

الثاني، أسلوب الربط بين الأسماء Name Calling

عن طريق استخدام أوصاف معينة وربطها بحالات سابقة مرت على اليهود. مثل اضطهاد اليهود وما تعرضوا له في الماضي، وربط ذلك بالحاضر، من خلال إحلال العرب محل النازيين والأوروبيين.

الثالث، أسلوب الانتقاء Card Stacking

عن طريق انتقاء أفكار وحقائق معينة وتعميمها إذا كانت في مصلحة اليهود، وحذف ما هو في غير مصلحتهم. واستعمال عكس ذلك عند الحديث عن العرب، أي البحث في تضخيم كل الحالات التي تسيء للعرب، والتعتيم على الحقائق التي تكون في مصلحتهم [٧، ص٢٣٧].

المحور الثاني

(أ) الشخصية العربية في الفكر الصهيوني في مرحلة الصراع

قبل الحديث عن الشخصية العربية وتشويهها في الفكر الصهيوني ، لا بد من التطرق إلى الأساليب التي اتبعتها الحركة الصهيونية وإسرائيل من أجل إنجاح ذلك.حيث حاولت الدعاية الصهيونية أن تتناول الشخصية العربية من جميع جوانبها السلوكية والفكرية والوطنية ، بشكل مزيف وعنصري ، في ثلاثة اتجاهات :

١ ــ اتجاه داخلي يهودي

بحيث يتم التركيز على انحطاط الشخصية العربية وتخلفها ، وبأنها أقل قيمة من الشخصية اليهودية ، مقابل تفوق اليهود على العرب ، وقدرتهم على الانتصار عليهم ، وهذا يتلاءم مع ما جاء في الكتب المقدسة اليهودية التي أشرنا إليها من قبل.

٢ ــ اتجاه دولي

حيث استندت الحركة الصهيونية ، إلى تاريخ قديم من العداء الغربي للعرب ، منذ القرن السابع الميلادي وفشل أوروبا في الحروب الصليبية واسترداد أسبانيا والإرث الاستعماري. ولهذا فإن الدعاية الصهيونية في الغرب ضد العرب وجدت آذانا صاغية ، وأدت إلى تعزيز مواقع الفكر الصهيوني في عقول الغربيين. إلى جانب أن تشويه الشخصية العربية في الغرب خدم بالتأكيد الحركة الصهيونية وعلى تحالفاتها مع الغرب ضد عدو مشترك. واستطاعت الحركة الصهيونية أن توجه الرأي العام العالمي إلى جانبها ، لكي يرى من منظارها الشخصية العربية. وحاولت إقناعه بأن عداوة العربي للغرب هو جزء من تراثه وبيئته ، وليس بسبب الاستعمار الغربي أو الصهيوني. وأن اليهود هم جزء من الحضارة الغربية ، وأنهم يحمون المصالح الغربية من تهديدات العرب. وكان الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل قد قال :

"إن دولة يهودية في فلسطين أو سوريا ستكون امتدادا للحضارة الغربية وحصنا ضد الهمجية الشرقية" [٨، ص ٢٣].

٣ ـــ أساليب موجهة للعرب

كان الخطاب الصهيوني إلى العرب، موجها على أساس أنهم أمة جاهلة ومتخلفة، وأن ذلك يعود إلى طبيعة الإنسان العربي نفسه، غير قابل للتطور، ويميل إلى فردية طاغية وعدوانية (يكره أخاه ويعتدي على ابن عمه ويسرق جيرانه). وهناك أمثلة عديدة عن تلك الأساليب تم ذكرها في هذه الدراسة.

في الواقع فإنه منذ بداية دعوة زعماء الحركة الصهيونية يهود أوروبا إلى الهجرة إلى فلسطين، كان هناك موقفا معاديا للعرب عند معظم المفكرين وقادة الحركة الصهيونية. فلقد حاولوا تصوير فلسطين (كما لاحظنا سابقا) على أساس أنها أرض صحراء لا يقطنها أحد سوى البدو الرحل والمتخلفين، غير مرتبطين بالأرض. مع العلم أن مثل هذا القول يتناقض، ليس مع الواقع الذي كان في فلسطين، بل أيضا مع ما كان يدعو إليه اليهود، بأن "أرض الميعاد، هي أرض السمن والعسل". كما دعا الصهاينة الأوائل إلى طرد العرب غير المتحضرين من فلسطين، وإحلال المستوطنين اليهود ذو الثقافة الغربية مكانهم.

وكتب هرتزل، في يومياته إلى انه من الضروري طرد العرب من فلسطين، والاحتفاظ بعدد قليل منهم من أجل:

"استغلالهم في القيام ببعض الأعمال الحقيرة والشاقة، مثل قتل الأفاعي وتقطيع الصخور الحطب، ولكن يجب عدم إعطائهم أي عمل في بلدنا" [٩، ص ٧٨].

ويقول أيضا في كتابه (الدولة اليهودية):

"إذا كتب لنا الله العودة إلى الوطن التاريخي، فسوف نعود إلى ممثلين للحضارة الغربية بما فيها من نظام ونظافة ... ويجب أن نشكل هناك جزءا من الحصن الأوروبي في وجه آسيا، ونكون مركزا متقدما للمدنية في مواجهة البربرية" [١٠، ص٣٠].

وبما أنه يوجد عدة تيارات داخل الحركة الصهيونية، فقد حذر المفكر الصهيوني هوجينزبرج المشهور باسم آحاد هاعام الذي كان يمثل تيار الصهيونية الروحية، بعد زيارته إلى فلسطين في عام ١٨٩١ في مقالة كتبها تحت عنوان (الحقيقة في فلسطين) من نظرة الصهاينة إلى العرب، لأنهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة، ويمتهنون حقوقهم بصورة واضحة، ويوجهون إليهم الإهانات من دون أي مبرر، بل انهم يفتخرون بتلك الأفعال. وحاول آحاد هاعام أن يصحح صورة العرب المشوهة في أذهان اليهود، وشدد على الخطأ الكبير الذي ترتكبه الحركة الصهيونية ضد العرب، وقال:

"نحن نفكر بأن العرب كلهم من الوحوش الهمج الذين يعيشون كالحيوانات ولا يفقهون ما يدور *حولهم*" [١١، ص ٦٨].

(ب) الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي في مرحلة الصراع

بعد قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨، استمر الفكر الإسرائيلي الذي ورث الفكر الصهيوني، في تشويه الشخصية العربية من خلال وسائل الإعلام الإسرائيلية والأدباء والمفكرين ومناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية. ولقد استغلت إسرائيل وجود العرب الفلسطينيين في إسرائيل، الذين تعاملهم على أساس أنهم مواطنون من الدرجة الثالثة، في بث دعاية عنصرية ضدهم. وكذلك ركز الفكر الإسرائيلي في تشويه صورة العرب بشكل عام، وعرب الدول المحيطة بها بشكل خاص، من أجل المحافظة على صورة اليهودي المثالي والمتحضر والذي لا يقهر، المحاط بالعرب الجبناء، والمتخلفين، الذين يريدون رمي اليهود في البحر. ومثل هذه الدعاية، وجهتها إسرائيل ضد العرب في الخارج لكي تكسب الرأي العام الدولي، وفي الداخل، لكي تحافظ على تفوق العنصر اليهودي المتمدن ضد العرب. وأيضا وجهت إسرائيل هذه الدعاية باتجاه العرب أنفسهم، داخل إسرائيل وخارجها، حتى يفقدوا ثقتهم بأنفسهم.

واستند الفكر الإسرائيلي إلى العناصر نفسها التي استند إليها الفكر الصهيوني من قبل في دعايته ضد العرب، وهي الظروف المعادية للعرب بشكل عام في الغرب، بسبب

مقاومة بعض الدول العربية وحركات التحرير العربية لمشاريع الاستعمار الغربي في المنطقة العربية والعالم الثالث. وكذلك إلى التراث الديني والتاريخي لليهود في تفوقهم على الشعوب الأخرى ، بمن فيهم العرب .

وظهر العربي في الفكر الإسرائيلي ، على أنه "جبان وخبيث وماكر وقذر ومتعطش للدماء وغدار ومتخلف وساكن للصحراء وراعي للجمال" ، وجميع الصفات الحقيرة الأخرى في القاموس العبري. مما أدى إلى خلق حالة من الكراهية والاحتقار والعنصرية في نفوس الإسرائيليين ضد العرب ، حتى عند المسؤولين الإسرائيليين. حيث لوحظ ذلك من خلال معاملة الاستعلاء والاستكبار التي عامل بها رئيس وزراء إسرائيل السابق اسحق رابين لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن عند التوقيع على اتفاق غزة وأريحا ، وعند سؤاله إن كان على استعداد لتقبيل المسؤول الفلسطيني ، رفض ذلك بطريقة فيها الكثير من الازدراء.

ويقول أحد قادة حركة غوش أمونيم اليمينية بأن كراهية العرب هي ظاهرة طبيعية وصحية ، وأن من حق اليهود أن يكرهوا العرب ، لأنهم يريدون إبادة اليهود[١٢ ، ص١٨٦].

ولاشك أن وراء الموقف الإسرائيلي المعادي للعرب ، يعود إلى التنشئة السياسية والثقافية التي كان للفكر الإسرائيلي دور كبير في خلقها. وسوف نبحث في الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي من خلال معالجة أفكار بعض المفكرين السياسيين والأدباء الإسرائيليين بمن فيهم أدباء الأطفال ومناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية ، وتأثير تلك الكتابات في خلق مواقف معادية للعرب عند اليهود.

١ــ الشخصية العربية في الفكر السياسي/الاجتماعي الإسرائيلي

صدرت عشرات الكتب السياسية والاجتماعية الإسرائيلية ، باللغتين العبرية والإنجليزية ، تناول كاتبوها الإسرائيليون ، العرب بطريقة عنصرية مشوهة ، من أجل أن

تبرر إسرائيل، وجودها في المنطقة العربية. ومثال على ذلك، سوف نحلل ما جاء في كتاب (العقل العربي) الذي كتبه اليهودي الصهيوني رفائييل باتاي Raphael Patai في عام ١٩٧٣، كمثال لنوعية الفكر الإسرائيلي الذي يعالج الشخصية العربية. وبقدر ما امتدح باتاي اليهود في كتابه الآخر "العقل اليهودي" الذي ألفه في عام ١٩٧٧م، أي بعد ٤ سنوات من كتابه عن العرب، بقدر ما قلل من قيمة العرب وشوه صورتهم في كتابه (العقل العربي). وفي كتابه عن اليهود يقول بأن اليهود يتمتعون بثلاثة صفات رئيسية، العطف والتواضع والإحسان. وبأنهم يؤمنون باله خاص بهم، وأن هذا الإله ليس لكل البشر بل هو لليهود فقط، الإله اختارهم وهم اختاروه. كما تناول العقل اليهودي على أساس أنه متفاعل مع العقل الغربي وجزء من الحضارة الغربية. وخصص صفحات طويلة وهو يتحدث عن الذكاء اليهودي والتفوق والمواهب التي يملكها اليهود.

أما في كتابه(العقل العربي) فقد تناول المؤلف الشخصية العربية، من الجوانب التالية:

(أ) إن العرب يلقون دائما أسباب تخلفهم الثقافي على عاتق الاستعمار أو ما أسماه "الاضطهاد الخارجي" وليس على أنفسهم، منذ الحكم العثماني وحملة نابليون على مصر، مرورا بالاستعمار الأوروبي المباشر، حتى الوقت الحال، الذي توجد فيه إسرائيل. فان العرب يضعون اللوم دائما على الآخرين في تخلفهم الثقافي ولا يلومون أنفسهم. مع العلم كما يرى باتاي، فإن أسباب التخلف الثقافي تعود في الأساس إلى تركيبة العرب أنفسهم وفي البيئة التي يعيشون فيها. ونتيجة لذلك، فإن العرب يكرهون الغرب. ويعتقد باتاي بأن العقل العربي يكره الغرب، مع العلم بأن الغرب ـ حسب رأي باتاي ـ عمل على تمدين العرب وتثقيفهم [١٣].

(ب) يقول باتاي أن إطالة فترة رضاعة الطفل العربي يجعله يتعلق بأمه التي تلبي احتياجاته دائما، وهذا الشعور يستمر معه عندما يكبر ويدفعه إلى الاعتقاد بأن كل النساء عليهن تلبية حاجاته، وأنه في منزلة أقوى وأهم من منزلة المرأة، التي وظيفتها هو خدمة

الرجل وتلبية حاجاته فقط. كما أن الأسرة تنفر من ولادة البنت وتفضل ولادة الصبي، الذي تكن له الأسرة عناية ومحبة خاصة منذ ولادته، الذي يتعلم القسوة من معاملة والده لوالدته. كما أن الطفل العربي برأي باتاي، يبقى يعتمد على والده ولا يصل إلى مرحلة الاستقلالية والاعتماد على النفس، وهذا يستمر حتى عندما يصل إلى مرحلة الرجولة. مما يجعله غير قادر على اتخاذ قراراته بنفسه ومتردد، وعديم الثقة.

(جـ) يصف الكاتب شخصية العربي بأنها بدوية لم تتغير منذ آلاف السنين، وأن حياة البدوي كلها كسل وفردية وقاسية. وأن البدوي ينفر من العمل ويثأر للدم ويحب الغزو، ولا يمنح ولاءه سوى لأسرته وعشيرته. ومع أن البدو لا يشكلون سوى ١٠٪ من العرب، إلا أن باتاي يتحدث عن العرب على أساس أنهم كلهم بدو ويعيشون حياة البداوة، وأن العادات البدوية ثابتة عند العرب ولا تتغير.

(د) يعيد باتاي الخلافات العربية إلى عصر الجاهلية، حيث تحدث عن العرب في هذه الفترة بتهكم وسخرية. ويقول إن الخلافات العربية تعود إلى روح التنافس الذي تغرسه الأم بين الأخوة، وأنه إذا رفض أحد الأخوة الطعام فان الأم تهدده بأنها سوف تعطيه لأخيه. والسبب الآخر للتناحر بين العرب برأي الكاتب يعود إلى زواج الأقارب، لأن هذا يؤدي إلى عزلة الجماعة. ومع ذلك فان العرب يميلون إلى الوحدة العربية، ولكن باتاي لم يجد تبريرا لذلك.

(هـ) من خلال قراءة كتاب باتاي، يلاحظ القارئ الكثير من المغالطات المتعلقة في محاولته تحليل العقل العربي بطريقة مشوهة، بحيث ركز على مفاهيم خاطئة موجودة في عقل اليهود عن العرب. وقام بتعميمها لكي تسيء للإنسان العربي عند القارئ الغربي واليهودي، من أجل إظهار الصراع في الشرق الأوسط على أساس أنه بين اليهود المتحضرين بالحضارة الغربية وبين العرب المتخلفين الذين يعيشون حياة البداوة [١٣].

ومثل هذا الموقف العنصري في الفكر الإسرائيلي موجود ليس عند المفكرين الإسرائيليين فقط، بل عند السياسيين أيضا الذين تأثروا وأثروا بالفكر الإسرائيلي

وينظرون للعرب نظرة فوقية. ومن أجل إظهار ذلك، نحلل دراستين منفصلتين حول رأي السياسين الإسرائيليين بالعرب، أظهرتا بوضوح عمق التشويه الذي أصاب الشخصية العربية عند الإسرائيليين. وأجرى الدراسة الأولى، يهوشفاط هاركابي Y. Harakabi رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق والخبير الإستراتيجي، بعد حرب ١٩٦٧ عن أسباب انهيار العرب في تلك الحرب. والدراسة الثانية أجراها الباحث الإسرائيلي دانيل هيرادفستيت D. Heradvsteitd في عام ١٩٧٢ عن مواقف ٣٤ شخصية حزبية وسياسية وأكاديمية إسرائيلية، لمعرفة مواقفهم من العرب وأسباب تفوقهم عليهم. تبين من الدراستين أن الباحثين اتفقا على أن اليهود أفضل من العرب، وذلك لأن العرب ينفردون حسب ما جاء في الدراستين، بالصفات التالية:

أولا: فرديون

حيث يقول هاركابي في دراسته، أن من أسباب هزيمة العرب في حرب حزيران ١٩٦٧، تعود إلى العلاقات الاجتماعية بين الجنود في الجيوش العربية. لأن كل جندي كان يعمل بشكل فردي وليس جماعي خلال الحرب. مما يعني تفتيت الوحدة والعلاقة الاجتماعية والتنظيمية داخل الجيوش العربية. ويعطي الباحث أمثلة على ذلك، بأن العلاقات بين وحدات الجيش في الحرب لها دور في حسم نتيجة الحرب. وأنه إذا تعرضت دبابة متقدمة إلى خطر النيران فإن على الدبابات الأخرى أن تقوم بحمايتها، لأنه خلال المعارك فإن الجنود يجمعهم هدف واحد هو تحقيق النصر الجماعي. وهو ما لم يكن موجودا عند الجيوش العربية، حيث كانت الفردية السلبية هي التي تقود العلاقات الاجتماعية بين العرب. ويصف هاركابي بعض سمات العرب بتضخيم الأنا Ego عندهم والفردية المفرطة. وهذا برأيه يؤثر على العلاقات الاجتماعية والشخصية عندهم. كما يقول أنه على الرغم من دعوة العرب إلى الوحدة العربية، إلا أنهم في الواقع أبعد الناس عن العمل الوحدوي والجماعي، بل يفضلون العمل الفردي.

ثانيا: كذابون

تتفق وجهة نظر هاركابي مع ما جاء في كتابات العديد من المفكرين الإسرائيليين في وصف العرب بالكذب. حيث يقول بأن العربي لا يشعر بالحرج حين يكذب إذا كان ذلك يحقق له أغراضه، ويعود سبب ذلك برأيه إلى الحضارة العربية التي لا تجد في الكذب حراما. كما يرى الباحث الإسرائيلي إلى أن الكذب يؤثر عادة في بناء صورة مزيفة عن الذات، وهذا ما يحدث عند العرب[١٤، ص ص١٢٩-١٤٠].

ثالثا : عدوانيون

خلص الباحث الإسرائيلي هيرادفستيت في الاستطلاع الذي أجراه على السياسيين والأكاديميين الإسرائيليين، إلى أن العرب عدوانيون. وأنه لو أتيح لهم التغلب على اليهود لسبب من الأسباب، لقاموا بتصفيتهم جسديا. وأنهم غير مخلصين في عقد سلام مع إسرائيل، بعكس الإسرائيليين، الذين أجمع من أجريت عليهم الدراسة بأنهم يرغبون بعقد سلام مع الدول العربية. والسبب وراء ذلك، حسب رأي الباحث، هو أن العرب يحبون الصراع والحرب، لأنهم عدوانيون. وهذا مرتبط بالشخصية العربية والإسلام، على أساس أن الإسلام له نزعة حربية وعدوانية. كما أن هاركابي يؤكد هو الآخر في دراسته على عدوانية العرب، وأن ذلك يعود بسبب عدم الثقة في النفس التي تؤدي برأيه إلى عدم الثقة بالآخرين.

رابعا: انفعاليون ومحبطون

ويرى الباحث الإسرائيلي إلى أن العرب بشكل عام يميلون إلى الانفعال والإحباط. ويعود ذلك برأي الذين أجريت عليهم الدراسة، إلى "ضعف حضاري" لأن العرب يعانون من "أزمة هوية "Identity Crisis"، وهذا الأمر يجعلهم يشعرون بالانفعال، وأثر على موقفهم من إسرائيل وجعلهم يتعاملون معها بعيدا عن العقلانية. كما أن فشلهم في تطوير مجتمعاتهم بالمقارنة مع التطور الذي حدث في إسرائيل قادهم إلى الشعور بالإحباط [١٥، ص ص ١٤٥-١٦٦].

وهكذا يلاحظ أن مواقف وأفكار معظم السياسيين الإسرائيليين تدور حول تشويه الشخصية العربية، من تصريحات زعماء الحركة الصهيونية الأوائل مرورا بمواقف جولدا مائير التي نفت وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني إلى بيجن وشامير وديان الذي قال عن العرب:

"إنهم يعيشون في عالم غير حقيقي، وهم يفعلون ذلك غالبا مثلهم مثل الشخص الذي يحتاج إلى الحشيش، حتى يحس أنه يعيش في جنة عدن. فالحقيقة بالنسبة لهم هي الجحيم والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب التي تعطي لهم الإحساس بالجنة. غالبا ما يبدو لي أن كل العرب وعلى كافة المستويات يتصرفون وكأنهم تحت تأثير المخدر، والحقيقة أن الوهم أسوأ من الكذب" [١٦، ص٣٦].

٢ ـ الشخصية العربية في الأدب الصهيوني/الإسرائيلي

صور الأدب العبري الشخصية العربية بطريقة مبتذلة، وفيها الكثير من الانحطاط والتخلف. بينما تحدث عن اليهود بأنهم (Super) لا يقهرون أمام العربي الضعيف والجبان والمتعطش لسفك الدماء والمنافق ومغتصب النساء والمعتدي والكاذب والسارق والمرتشي. كما يلاحظ بأن مفهوم الشخصية العربية في الأدب العبري، اقتصر في الكثير من الروايات، على تناول شخصيتي الفلاح والبدوي مع تهميش واضح للشخصية الحضرية، وذلك من أجل إظهار عيوب تلك الشخصية. كما أن الأدب العبري ركز عند تناوله العرب على ٦ قضايا رئيسية وهي الصفات الجسدية والصفات الشخصية والملابس العربية والقيم الدينية والأعمال التي يمارسها العرب والأماكن التي يعيشون فيها [١٧، ص٩٧ و١٠٨ـ١٢٥].

ومن خلال متابعة ما كتب عن العرب في الأدب العبري، يلاحظ أن الحركة الصهيونية تحدثت عن فلسطين قبل هجرة اليهود إليها، على أساس أنها "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". كما أن الله هو الذي وعد اليهود بفلسطين، وإن

فلسطين لم تكن يوما للعرب، بل إن العرب يعتبرون بأنهم دخلاء عليها. مما دفع الكاتب الإسرائيلي يوسف عجنون الحاصل على جائزة نوبل للآداب، للاعتراف بأن:

"كل الكتاب الإسرائيليين وصفوا الأرض (الإسرائيلية) لا كما كانت عليه، بل كما كانوا يتمنون أن تكون" [١٨ ، ص٣١].

وسوف نحلل نماذج لإنتاج بعض أهم الأدباء الصهاينة ـ الإسرائيليين الذين أسهموا في رسم صورة سيئة عن العرب في رواياتهم:

(أ) في رواية يتسحاق شامي (١٨٨٩ـ١٩٤٩) انتقام الآباء التي نشرها في عام ١٩٢٨، يصف المؤلف العربي بالبداوة ويقول في صفحة ٤٧:

"لقد انعكس جفاف الصحراء ووهج شمسها في وجوههم الواهنة السوداء، وقد برزت أنوفهم الحادة المعقوفة وكأنها مناقير طيور مهاجمة، وتوهجت عيونهم وكأنها وضعت في النار"[١٩، ص٤٦١].

(ب) وفي رواية اليعزر سمول، يعطي الكاتب انطباعا للقارئ بأن فلسطين لم تكن للعرب بل كانت لليهود. ويضع حوارا بين بطل قصته اليهودي، الذي بدأ بإقامة قرية يهودية في فلسطين، وبين مجموعة من العرب، ويقول أحد الشيوخ العرب مخاطبا اليهودي:

"بعناية الله يا خواجا، أهلا وسهلا، إن هذه الأرض ليست أرضنا، لقد سمعنا أنها تابعة لليهود" [١٩].

(جـ) كما صور الأدب العبري العرب، على أساس أنهم غرباء عن فلسطين، ففي كتاب ع. داني (استقلال إسرائيل) يقول المؤلف:

"إن العرب الذين احتلوا أرضنا قبل ألف وثلاثمائة سنة، أقاموا بها واعتبروها وطنهم، ولكنهم لم يفعلوا أي شيء كي يحافظوا عليها من الخراب والدمار" [٢٠ ، ص٨٧].

ومثلما ركز الفكر الإسرائيلي على أن العربي هو بدوي في تفكيره وطباعه، فإن الأدب العبري تحدث أيضا عن شخصية العربي على اعتبار أنه بدوي لا يملك الأرض التي

يعيش عليها، وبأنه متنقل في حياته غير مرتبط بالأرض. وأن سكان فلسطين العرب هم بدو غير مرتبطين بوطن، وأن الأرض لا قيمة لها عندهم. ويلاحظ أنه من النادر أن يتناول الأدب الإسرائيلي الفلاحين العرب، لأنهم مرتبطون كثيرا في الأرض التي يعيشون عليها.

كما صور الأدب الإسرائيلي العرب، على أساس أنهم يعتدون دائما على اليهود، ويقومون باغتصاب النساء وقتلهم وقتل الأطفال والشيوخ، ولا يفهمون سوى لغة القوة. ويعاملون أسراهم بوحشية ويحبون المال ويخونون أصدقاءهم، ويبحثون عن المتعة عند المرأة وغير متحضرين ومتخلفين وجبناء.

ومن الأمثلة الأخرى على تشويه صورة العرب في الأدب الإسرائيلي، قصة عوديد بيتسر بعنوان (قصاصو الأثر من الحدود الشمالية) عن مستوطنة إسرائيلية كانت كما يقول الكاتب تتعرض إلى (عدوان عربي) باستمرار، وتحولت حياة سكانها إلى جحيم لا يطاق، بحيث كانوا يقضون معظم أوقاتهم في الملاجئ، ويقول بيتسر:

"العرب يطلقون النار من موقع يدعى قبر الشيخ، وفجأة يسمع دوي انفجار قوي، ويعود أحد رجالنا من الحقل ليقول أن (افرايم) قد أصيب بجراح. مرت سيارته على لغم زرعه العرب في الطريق الترابية المؤدية إلى الحقل. ويقول أحد الجنود الإسرائيليين (فليقاتلونا نحن الجنود، لماذا يعتدون على المواطنين العزل؟ إن باستطاعتهم أن يقتلوا أيضا أطفالا ونساء وشيوخا، أي نوع من الرجال هم ؟" [٢٠، ص٨٩].

وقصة (افرات) للكاتب الإسرائيلي أيهود بن عيزر، التي يسرد فيها حوادث وقعت في منطقة صفد بين العرب واليهود، ويقول:

"إن العرب قاموا بأعمال وحشية، جعلته يتصور العربي كائنا حيا لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، فالقتل والإجرام غريزة من غرائزه، وهواية من هواياته. وأشهر ما لديه لون الدم الأحمر القاني. لقد باغت العرب اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسة، وأخذوا يسرقون ممتلكاتهم ويقتلونهم" [٢٠].

ويتحدث الكاتب عن حالة الهلع عند اليهود الذي سببه الهجوم العربي عليهم، مما اضطرهم إلى الهرب وهم شبه عراة أمام العرب، حتى الحاخام الذي فر إلى المقبرة مع بعض أقربائه، طالته أيدي العرب، الذين طعنوه وفقئوا عينيه على مرأى من أقربائه. كما قام العرب بالاعتداء على الكنيست الإسرائيلي ونهبوه، وبتعذيب النساء واغتصابهم أمام أزواجهن وأولادهن، ومن كان يحاول من الرجال الدفاع عن عرضه كان يقتل.

ويصف العديد من الأدباء الصهاينة العرب بأنهم كذابون ومخادعون ولا يؤتمنون بسبب عدم وجود مصداقية عندهم، ويقول ياكوف ريبوفيتش (١٨٧٠ - ١٩٤٨) في روايته (عماس الشومير) التي نشرها في عام ١٩٣٠:

"لم أستطع اكتشاف شيء لدى العرب، كل واحد يجرني إلى اتجاه مختلف وذلك بسبب اعتيادهم الكذب وخيالهم الواسع" [٢٠].

وكتب ناتان شاحم، في روايته (غبار الطرق) على لسان أحد أبطال الرواية اليهود، بأن العرب:

"مثل الكلاب، فإذا رأوا أنك مرتبك ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم، يهجمون عليك. أما إذا قمت بضربهم فإنهم يهربون كالكلاب" [٢٠، ص٩٠].

ومن الدراسات العربية المهمة التي تناولت الأدب العبري والفكر الصهيوني، دراسة غسان كنفاني "في الأدب الصهيوني" الصادرة بعد حرب حزيران/يونية ١٩٦٧، والتي عالج فيها الظواهر التي أنتجت هذا الفكر. ويقول كنفاني بأن الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية، وقامت الصهيونية السياسية بعد ذلك بتجنيد الأدب في خدمة أهدافها.

وكتاب غالب هلسا (نقد الأدب الصهيوني). الذي تناول فيه بالتحليل والنقد، روايات أهم الكتاب الإسرائيليين عاموس عوز Amous Aouz. وضم الكتاب دراسة نقدية لروايات عوز الأربعة (الحروب الصليبية، و في مكان آخر، ربما، وتل المشورة الشريرة، و الحب المتأخر). وتمثل كتابات عوز الذي تحول من معسكر المفكرين والأدباء المتطرفين إلى معسكر السلام الإسرائيلي، عناصر الفكر الصهيوني مجسدة صورة واضحة للتعصب

والعرقية. وبالنسبة لصورة العرب في روايات عوز، فقد ركز على أن: فلسطين أرض بلا شعب، وأن اليهود شعب بلا أرض، ومن حق اليهود كأمة متحضرة "أن يحلوا محل العربي لأنه ينتسب إلى أمة متخلفة، والعربي يهدد إسرائيل انطلاقا من أفكار بدائية وبلا سبب. وأن على 'اليهود أن يكونوا مستعدين دائما إلى مقاتلة العرب في عقر دارهم. كما جاء في رواية مكان آخر، أن اليهود جاءوا لكي يعمروا فلسطين، ولكن العرب استقبلوا اليهود بالسيف الذي ارتد إليهم، وإنه من الطبيعي أن يخضع التخلف العربي إلى التقدم اليهودي [٢١، ص٣٨].

مثل هذه الروايات التي كتبها الأدباء الإسرائيليون عن العرب، فيها تشويه واضح لشخصية العربي وتصرفاته غير الإنسانية أمام اليهودي المثالي والضحية، مما أثر على موقفه من العرب ومن تعامله معهم، وخلق عنده روح الانتقام والكراهية ضد العربي.

ومن جهة ثانية، يلاحظ أن هناك تشويها واضحا لصورة الجندي العربي والفدائي الفلسطيني في كتابات الأدباء الإسرائيليين، حيث يظهرون وكأنهم متعطشون لسفك الدماء، وبأنهم يقتلون من أجل القتل، وليس لأسباب وطنية. وأنهم عادة ما يقاتلون بتحريض من آخرين وليس دفاعا عن الوطن. كما يظهرون في القصص الإسرائيلية كمخربين وإرهابيين، يقتلون الأطفال من دون شفقة. وإن الجندي العربي جبان يهرب من المعارك أمام الجندي الإسرائيلي، بعكس اليهودي الشجاع، وإنه لا يفكر، ويقوم بتنفيذ ما يطلب منه من دون تردد.

٣ ــ الشخصية العربية في أدب الأطفال

لم يخل أدب الأطفال العبري من تشويه واضح للشخصية العربية، حيث صور كتاب قصص الأطفال الإسرائيليين، العرب بأنهم متوحشون وبدائيون وقتلة. مما أسهم في تنشئة جيل من الشباب الإسرائيلي، يحمل صورة مشوهة عن العرب. واعترف البروفيسور الإسرائيلي أدير كوهين، رئيس قسم التربية في جامعة حيفا، في كتابه (وجه بشع في

المرآة)، الذي ألفه في عام ١٩٨٥ ، وأخذ عليه جائزة أدبيه. بأنه من أصل ألف وسبعمائة كتاب باللغة العبرية موجهة إلى الأطفال الإسرائيليين، قام بالإطلاع عليها بعد حرب ١٩٦٧. وجد أن ٥٢٠ كتابا أشارت إلى العرب، وأن ٤٠ كتابا فقط تحدثت عن العرب بطريقة موضوعية. وأما بقية الكتب وعددها ٤٨٠ ، فقد كانت معادية للعرب، وشوهت صورهم ودعت إلى كراهيتهم واحتقارهم. حيث وصفتهم بصفات الخيانة والكذب والوقاحة والوحشية والبخل والجنس والنفاق والخبث وجميع الصفات الأخرى غير الأخلاقية. وقال كوهين، أنه أجرى بحثا تجريبيا على طلاب مدرسة يهودية في حيفا، وتبين له أن ٨٠٪ من المشتركين يصفون العربي بأنه يعيش في الصحراء وغير متحضر ويلبس الكوفية ويعمل برعاية الغنم ويهدد الآخرين، ووسخ وكريه ومنظره مرعب. وقال ٩٠ ٪ من الطلاب، أنه لا يوجد حق للعرب في فلسطين ويرفضون فكرة التعايش معهم. واعترف الطلبة كذلك، بأنهم كونوا أفكارهم عن العرب من كتب الأطفال التي قرأوها في سن الطفولة والشباب، وأن صورة العربي في أذهانهم هو:

"لص وغدار وسفاح، وذو أنف أعوج وله ذيل، ولا يحب السلام، وخاطف أطفال، ولا يؤتمن له جانب ومتخلف وهمجي" [٢٢، ص ص ٥٥ ـ ٥٩].

ومثلما كتب مفكرو الحركة الصهيونية والأدباء الإسرائيليون حول خلو فلسطين من السكان العرب قبل مجيء اليهود، فقد كتب أدباء إسرائيل قصصا للأطفال أظهروا لهم فيها نفس الموقف (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). وكتب أحد الكتاب الإسرائيليين في هذا المجال:

"وقام يوسف وبعض رجاله بقطع البلاد (فلسطين) سيرا على الأقدام، حتى وصلوا إلى الجليل. لقد تسلقوا الجبال والهضاب، والتي كانت خلابة في مناظرها. ولكن في الوقت نفسه كانت خالية، لا يسكنها أحد ... وقال يوسف: إننا سنقيم هنا الكيبوتس ومن هنا اندحر نحن هذا الفراغ. وسنطلق على ذا المكان اسم: تل حاي... إن الأرض خالية من السكان، لقد ابتعد عنها أبناؤها (يقصد اليهود) لقد تشتتوا ولم يعتنوا بها، إنه لا يوجد من يحرسها أو يعتني بها"[١٦، ص١١١].

ويقول الأديب الفلسطيني الدكتور فوزي الأسمر بأن صورة العربي في الأدب العبري هي صورة قاتمة، لأنها تظهره على أنه مجرم وقاتل، ويقتل من أجل القتل ولأتفه الأسباب، و يكذب ولص ووسخ وقذر وشرس وبدوي. ويصف أحد الأدباء الإسرائيليين العرب في كتاب للأطفال قائلا:

"لا أستطيع أن أسلمك لهؤلاء البشر، إنهم لا يأخذون أسرى ولا يداوون جرحى، إنهم حيوانات كاسرة" [١٩، ص ٤٥٧].

ويصور أحد كتاب قصص الأطفال الإسرائيليين البدوي بأنه قذر :

"دعونا نرى كيف يعيش البدو في خيامهم، قال ناداف باحتقار، انهم قذرين .. تفوح منهم رائحة النتانة"[١٩، ص٤٦٤].

كما تشوه قصص الأطفال العبرية، المقاومة الوطنية الفلسطينية، وتصورهم على أنهم متوحشون وقتلة. وجاء في أحد الكتب، بأن الوطنيين العرب هم عبارة عن رعاع، محرضين، يقومون بالهجوم على الممتلكات اليهودية ونهبها وتدميرها:

"قام بعض المحرضين العرب، معدومي الضمائر، بتحريض الجماهير العربية في يافا. وحرضوهم على القيام بأعمال إجرامية ضدهم. وقام مئات العتالين والبحارة والزعران الذين يركضون وراء النهب والعطشى للدماء يحملون السكاكين والقضبان الحديدية بمهاجمة اليهود " [١٩، ص٤٦٦].

وأطلق كتاب الأطفال للقصة الإسرائيلية، نفس الأوصاف على الجندي العربي، حيث صور على أنه جبان، يهرب من ساحة الحرب أمام الجندي الإسرائيلي ودون أخلاق، وأنه يكفي أن يطلق أحد الأولاد اليهود النار في الهواء لكي يهرب. ويعترف أحد الإسرائيليين بأن الأطفال يقبلون على قراءة الكتب التي تحرض على العرب بكثرة، وأن تلك الكتب تصف أعمال العرب ضد اليهود بطريقة وحشية وسادية، وتضع أحيانا رسومات كاريكاتورية تبرز العربي في وضع مهين. وهذا يخلق في نفوس الأطفال اليهود كراهية عميقة ضد العرب [١٩، ص٤٦٨].

٤ ـــ الشخصية العربية في كتب المدارس الإسرائيلية

تشويه الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي، لم يأت فقط من قبل الكتاب والمفكرين الإسرائيليين، بل جاء أيضا عن طريق سياسة رسمية سارت عليها الحكومات الإسرائيلية منذ قيام إسرائيل. فقد امتلأت كتب المدارس الإسرائيلية التي تشرف عليها وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية بالمواضيع المختلفة التي تشوه صورة العربي عند الطلاب الإسرائيليين، وتحرضهم على العرب بطريقة عنصرية واضحة. حيث تناولت كتب التاريخ العرب والمسلمين في الماضي والحاضر على أساس أنهم متخلفون، ويعيشون حياة البداوة، وأنهم قطاع طرق، يهاجمون بعضهم البعض ويتقاتلون دائما فيما بينهم، لا يحترمون العهود ولا المواثيق. كما شوهت مناهج التعليم الإسرائيلية الإسلام، وقاموا بتحريف بعض الآيات القرآنية الكريمة، وشوهوا صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنصاره. وجاء في أحد الكتب:

"لقد عمد محمد إلى الهجوم على قوافل التجار التي اعتادت أن تسلك طريق مكة بغية سلبها وسرقتها... ولكي يجتذب محمد اليهود إليه، أمر أتباعه بأن يتوجهوا في صلواتهم نحو القدس بدل الكعبة، وأن يصوموا يوم الغفران. ولكن مع مرور الزمن، وعندما جوبه بالسخرية من قبل اليهود، وبعد أن أدرك أنهم يبعدون عنه، غير موقفه اتجاههم، وأخذ يقسو عليهم، فألغى صوم يوم الغفران وحدد صوما آخر يستمر شهرا، كما حول القبلة من القدس إلى مكة" [٢٣، ص٣٦].

كما ركزت مناهج التعليم على احتقار العرب وتمجيد اليهودي، وإطلاق صفات غير أخلاقية في وصف الشخصية العربية، وانه دخيل على فلسطين، لم يرتبط بها ارتباطا كبيرا، بعكس اليهودي المرتبط بها ارتباطا تاريخيا ودينيا. وتتجه مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية، التي تقرها وزارة المعارف الإسرائيلية، إلى تكوين موقف ورأي عام ضد العرب منذ الطفولة عند اليهود، وعلى أن العرب هم عبارة عن لصوص ومتخلفين وعدوانيين ومحتالين ومخربين، وأنهم أقل من اليهود في جميع المستويات. وجاء في أحد الكتب المدرسية:

"إن تقاليد سرقة الأملاك اليهودية على أيدي العرب، كانت تقاليد تناقلتها الأجيال حتى أيامنا الحالية، والعرب مثل المسيحيين لم يسرقوا الأماكن المقدسة لليهود فحسب، وإنما حولوها مع تغيير أسمائها وتزوير تقاليدها إلى أماكن مقدسة للمسيحيين والمسلمين" [٢٤، ص٣١٢].

وأثرت المناهج التعليمية على جيل الشباب الذي ولد بعد قيام إسرائيل. لأنهم تعلموا في المدارس الإسرائيلية بأنهم (شعب الله المختار) وإن العرب موجودين معهم من أجل خدمتهم، وهذا يؤدي بالإسرائيليين إلى أن يتصرفوا تصرفات عنصرية تجاه العرب.

المحور الثالث

الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي وتأثيرها على الرأي العام الإسرائيلي

لا شك أن رسم الفكر الإسرائيلي للشخصية العربية بالطريقة التي عالجتها الدراسة، قد خلق صورة مشوهة للعربي عند الإسرائيليين، وأسهم مع عوامل أخرى، في تكوين رأي عام إسرائيلي معاد للعرب. لأن تعبئة اليهود على أساس عنصري، خلق جيلا يعتبر نفسه انه أفضل من العرب، وينظر إليهم نظرة احتقار وعداوة. كما أثر الفكر الصهيوني في التنشئة السياسية عند الشباب الإسرائيلي والجنود الإسرائيليين الذين يتعاملون مع الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث يقومون بممارسة وسائل عدوانية ضدهم.

ويلاحظ أن الشخصية النمطية Stereotype عند الإسرائيليين تجاه العرب، تشبه إلى حد كبير نفس الأفكار النمطية الموجودة عند الرأي العام الغربي تجاه شعوب العالم الثالث ومن ضمنهم العرب. وبشكل عام فإن الإسرائيليين ينظرون إلى العربي نظرة فوقية فيها الكثير من العنصرية، ويعود ذلك إلى التنشئة السياسية التي نشئوا عليها، وإلى العامل الديني الذي جعلهم يعتقدون بأنهم مميزون عن الآخرين. وفي استطلاع أجراه معهد (لويس هاريس) لقياس الرأي العام الإسرائيلي في عام ١٩٧١، لمجموعة من الإسرائيليين

حول رأيهم في العرب، ونشر في صحيفة التايمز اللندنية عام ١٩٧١ [٢٥]، أظهرت الإجابات الطبيعة العنصرية للصهيونية والإسرائيليين، حيث كانت:

هل توافق على العبارة التالية؟	نعم	لا
العرب أكسل من الإسرائيليين	٥٣٪	٣٦٪
العرب أقل ذكاء من الإسرائيليين	٧٤٪	١٩٪
العرب أكثر قسوة من الإسرائيليين	٧٥٪	١٧٪
العرب أقل شجاعة من الإسرائيليين	٨٠٪	١٢٪
العرب أقل أمانة من الإسرائيليين	٦٦٪	٢٠٪
العرب أحط من الإسرائيليين	٦٧٪	٢٣٪

وفي الاستطلاع نفسه، قال ٢٣٪ من الإسرائيليين الذين أجري الاستطلاع عليهم أنهم يشعرون بالضيق من الجلوس جنبا إلى جنب مع عربي في مطعم واحد. و٤٢٪ يشعرون بالضيق إذا سكنت عائلة عربية في منزل مجاور لهم . و٧٤٪ لا يرتاحون إذا شاهدوا أطفالهم يرتبطون بروابط وثيقة مع أطفال العرب. ويشعر ٨٤٪ بالضيق إذا تزوج صديق أو قريب عربية.

ومن جهة ثانية، يلاحظ أنه إذا أراد الإسرائيليون إهانة شخص أو توجيه الشتيمة إليه فإنهم يقولون عنه بأنه "عربي" أو يتصرف "كعربي"، وإذا عمل شخص عملا ولم يتقنه فيقولون بأن العربي هو الذي قام بهذا العمل. ومثل هذه الإهانات لا تأتي فقط من الناس العاديين، بل حتى من بعض المسؤولين الإسرائيليين، وروى النائب البريطاني السابق ماكسويل هيلسوب، كيف أن رئيس لجنة الشؤون الخارجية للكنيست الإسرائيلي د. هالوهين، شتم العرب بقسوة عند زيارته لمجلس العموم البريطاني، ووصفهم بأنهم ليسوا بمخلوقات بشرية، بل "هم عرب" [٢، ص ١٠٤].

ويعترف الكاتب الإسرائيلي داني روبنشتاين، بأن الدعاية المعادية للعرب في الأدب الإسرائيلي، ولدت جالة من العنصرية ضد العرب في إسرائيل بشكل كبير، وأن الإسرائيليين ينظرون إلى العرب نظرة احتقار وكراهية. وقال إنه سمع امرأة في إحدى المستوطنات تقول لابنها وهما يشاهدان عربيا يركب حمارا "انظر هذان حماران مع بعض"[١٢، ص١٨٦].

ويقول البروفيسور شاوؤل فريد لندر، أستاذ التاريخ الإسرائيلي المعروف، بأن بعض المفكرين الإسرائيليين صوروا الفلسطينيين بلا رحمة وبطريقة وحشية مرعبة. وأن الستيريوتيب الإسرائيلي، أنكرت على الفلسطيني إنسانيته من أجل تبرير الممارسات الإسرائيلية ضده [٢٦].

وهذا يدل على أن الإسرائيليين تأثروا بما قرأوه عن العرب في الكتب العبرية، ولهذا فإنهم يعاملونهم نتيجة ذلك، معاملة عنصرية واضحة. لأن أعمال الإنسان وتصرفاته، تكون في معظمها نتيجة لما يختزنه عقله حول موضوع معين، وبما أن الإسرائيلي نشأ في جو

• من الأمثلة على الممارسات الإسرائيلية ضد العرب نتيجة تأثرهم بالفكر الإسرائيلي المعادي للعرب:

- طفل يسأل أمه وهو يشير إلى رجل عربي، ما هذا، فقالت الأم إنه عربي، فتساءل الطفل "أحقا هو عربي، ولكنه يبدو كالآدميين".
- امرأة يهودية في أوتوبيس مزدحم لا تجد مقعدا لها فيقف رجل عربي ويقدم لها مقعده من دون أن تعرف المرأة أنه عربي، فتشكره وتقول له مشيرة إلى الركاب، "إن كل هؤلاء عرب ولهذا لم ينهض أحد منهم لكي أجلس".
- فتاة تصرخ في وجه سائق تاكسي يهودي وتقول له "لماذا تتصرف بهذه القذارة كما لو كنت عربيا".
- امرأة رفضت أن تجلس في سيارة وبالقرب منها رجل عربي، ودفعت للسائق أجرة مضاعفة لينزل العربي.
- طفل يصوب بندقيته نحو شخص يهودي، وتنهره أمه قائلة "ألم أقل لك ألف مرة إنك ينبغي ألا تصوب البندقية إلا على العرب وحدهم"[٢٦، ص٣٢٦].

فكري يحمل صورة مشوهة عن العرب، فإنه يتعامل معهم على أساس أنه أفضل منهم. ولأن مدخلات الفكر الإسرائيلي عن العرب تحمل في طياتها الكثير من التشويه المتعمد ضدهم، فان المخرجات تكون قريبة من نفس المدخلات. وتظهر على شكل ممارسات يومية يقوم بها الإسرائيليون مع العرب، وتكون مليئة بالأحقاد والتفاعلات العدوانية والعنصرية.

المحــور الرابــع
الشخصية العربية في الفكر الإسرائيلي
في مرحلة التسوية

طرأت بعض التحولات على الفكر الإسرائيلي، في التعامل مع العرب، منذ الانتفاضة الفلسطينية وبدء مسيرة التسوية السلمية، وإن كانت تلك التحولات ليست في مستوى الحدث. ويبدو أن الفكر الإسرائيلي غير مؤهل ولا مستعد للانتقال بعد، من عقلية الصراع والحرب إلى عقلية التعايش والسلم. ومازال يفكر في مرحلة التسوية، كما كان يفكر ويسلك في ظروف الصراع. وبما أن الفكر الإسرائيلي استند في الأساس، إلى تراث كبير من الإيديولوجية الصهيونية اللاهوتية التوراتية، وشكل ثقافة خاصة تميزت بالعداء للعرب، فإن الفكر الإسرائيلي في مرحلة السلام لا يستطيع أن يقاوم ما تراكم عليه من مؤثرات معادية للعرب في مرحلة الصراع. على الرغم من حدوث بعض التحولات عند بعض المفكرين الإسرائيليين تجاه نظرتهم للعرب.

ولقد ثار نقاش واسع عند المفكرين الإسرائيليين بعد الانتفاضة الفلسطينية ـ التي هزت إلى حد كبير الشخصية المشوهة التي بناها الفكر الإسرائيلي عن الشخصية العربية ـ وبعد الاعتراف الفلسطيني الإسرائيلي المتبادل بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو، عن نوعية العلاقة التي من الممكن أن تنشأ في المستقبل، بين الفلسطينيين والعرب من جهة وبين الإسرائيليين من جهة ثانية. إلى درجة أن أحد الأكاديميين الإسرائيليين البروفيسور يهودا

بنيامين ، وهو عالم نفسي من جامعة حيفا ، انتقد بشدة موقف الإسرائيليين من الفلسطينيين في كتابه "أرض إسرائيل مشكلة الصهيونية" الذي ألفه بعد الانتفاضة ، وقال : إن على الإسرائيليين أن يعرفوا الحقيقة ، وهو أنه يوجد شعب آخر يعيش في "هذه الأرض" كما قال :

"إن التحدي الذي يواجهنا هو ما العمل مع عرب الشرق الأوسط الذين يعيشون هنا وكيف ينبغي العيش معهم. قبل مائة سنة اكتشف الصهاينة أن ثمة عرب في إسرائيل واليوم بعد مائة سنة لا تزال الصهيونية تحت وقع المفاجئة لوجود عرب يعيشون في هذه البلاد. إن هذا الاكتشاف صعب جدا لدرجة أنه أصبح بمثابة التحدي الأكثر جدية للصهيونية ، عدا أنه يمثل الفشل الأكثر لها" [٢٧].

وحدث تطور بسيط في معالجة صورة العربي في الأدب الإسرائيلي بعد الانتفاضة ومسيرة التسوية. فمن تصويره على أنه متخلف وأمي وإرهابي ، إلى المرور على ذكره من باب الشفقة ، إلى تقديمه في حالات إنسانية بدأت على أساس أنه إنسان مهزوم يستحق معاملة جيدة إلى مهزوم بسبب ظروفه الصعبة (وشجاعة عدوه). كما ظهر في رواية عاموس كينان (الطريق إلى عين حارود). وفي رواية الكاتبة سافيون ليبرخت (الطريق إلى سايدر سيتي) التي كتبتها ليبرخت في عام ١٩٨٨ ، حيث وصفت على لسان أبطال قصتها حوار في حافلة أمريكية بين عائلة إسرائيلية وعائلة عربية وسائق الحافلة الأمريكي الجنسية. وكررت الكاتبة تعاطف المرأة الإسرائيلية (لعلها تعبر عن موقف الكاتبة نفسها) مع العائلة العربية ضد موقف زوجها (الضابط السابق في الجيش الإسرائيلي) وابنها (المجند في الجيش) وسائق الحافلة الأمريكي المتعاطف مع إسرائيل [١٨ ، ص٢١].

ولهذا ، وبعد أن حققت الحركة الصهيونية هدفها بقيام إسرائيل ، ونجحت في عقد معاهدات سلام مع بعض الدول العربية ، بات من المتوقع أن تقوم بتغيير واضح في تعاملها مع العرب. ولهذا فإن السؤال الذي يثار في هذا الوقت ، هو عن إمكانية استمرار الفكر الإسرائيلي في تشويه الشخصية العربية كما كان يفعل من قبل ، أو أنه سوف يتغير مع تغير ظروف الصراع؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من التأكيد على أن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع غير موحد في نظرته إلى السلام مع العرب، بعكس ما كان عليه خلال سنوات الصراع والحروب، حيث كان موحدا تقريبا في موقفه المعادي والصدامي مع العرب. وهذا يعني أن الصراع والعداء مع العرب وحد المجتمع الإسرائيلي ضدهم، بينما من الممكن أن يؤدي التعايش السلمي مع العرب إلى حدوث نزاعات ومشاكل داخل المجتمع الإسرائيلي بين معسكر المؤيدين والمعارضين للسلام. وظهر هذا واضحا، من اغتيال رئيس وزراء إسرائيل السابق اسحق رابين، على أيدي المتطرف الإسرائيلي إيغال عامير، المعارض لعملية السلام مع العرب وانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة. وتأييد أكثر من نصف المجتمع الإسرائيلي انتخاب اليمين الإسرائيلي المعارض لعملية التسوية. ولهذا فإن احتمالات حدوث تغير في الفكر الإسرائيلي تجاه الشخصية العربية، مرتبط بمواقف كل طرف من الإسرائيليين بمسيرة السلام. وباقتناع السلطة الإسرائيلية بضرورة حدوث تغيير في الثقافة ومناهج التعليم الإسرائيلية، وفي المفاهيم التي كانت سائدة من قبل التسوية مثل (إسرائيل الكبرى) والاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني وحقوقه، والحضارة والثقافة العربية، واعتقاد اليهود بتفوق العنصر اليهودي على العربي.

ولم تعط التجربة الأولى للتسوية بين إسرائيل ومصر بعد التوقيع على معاهدة السلام بينهما في عام ١٩٧٩، أية مؤشرات على حدوث تغييرات في موقف الفكر الإسرائيلي من العرب. حيث كان من المتوقع أن تؤثر اتفاقية السلام بين أكبر دولة عربية وإسرائيل إلى تغيير في رأي الإسرائيليين من العرب، ولكن هذا لم يتم، واستمر الفكر الإسرائيلي في تشويه صورة العرب. وفي دراسة قام بها الدكتور ادير كوهين والدكتور مريام روث، من جامعة حيفا، واستندا فيها إلى استطلاع للرأي العام الإسرائيلي، أجري على ٢٦٠ طالبا يهوديا في عام ١٩٨٥، أي بعد اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية بست سنوات تبين أن صورة العربي لدى الطلاب الذين أجرى الاستطلاع معهم، لم تتغير، وبقي العربي كما جاء في الدراسة، خاطف الأولاد وقاتل ومجرم وإرهابي [٢٨، ص٢].

وكذلك موقف الحركات اليمينية المتطرفة مثل حركة غوش امونيم الإسرائيلية، التي كانت قد وصفت الرئيس المصري أنور السادات، قبل التوقيع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بأنه:

"نازي متعصب من بين النازيين الذين قاموا بثورة ٢٣ تموز/ يوليه ١٩٥٢"

وبعد معاهدة السلام بسنوات عندما اغتيل السادات، عبر أحد زعماء نفس الحركة عن فرحته من اغتيال الرئيس المصري وقال:

"هكذا يكون رد الرب لأعدائه" [١٢].

ويمكن استخلاص الملاحظات التالية حول إمكانية حدوث تغييرات في الفكر الإسرائيلي تجاه العرب في مرحلة السلام، على ثلاثة أصعدة:

أولا: على الصعيد الرسمي

إن طبيعة الصراع العربي - الإسرائيلي قد تغير عما كان عليه في الماضي، وربحت إسرائيل الجولة، عن طريق فرض التسوية التي تريدها على العرب. حيث استطاعت الآن أن تضع استراتيجية جديدة في التعامل مع العرب في مرحلة السلام، تختلف عما كانت عليه في مرحلة الصراع. وبما أن السلطات الإسرائيلية تطمح إلى تطبيع علاقاتها مع الشعوب العربية وليس فقط مع الحكومات العربية، فإنه من الطبيعي أن تلجأ إلى عدم تشويه صورة الطرف الآخر المقرر إقامة علاقات طبيعية معه، حتى تستطيع أن تحقق في مرحلة السلام ما لم تحققه في مرحلة الحرب. وتأتي دعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق شمعون بيريس إلى إقامة سوق شرق أوسطي بين الدول العربية وإسرائيل في هذا السياق. لأن نجاح فكرة الشرق الأوسط الجديد، تتطلب تحولات جذرية في الفكر الإسرائيلي تجاه العرب. وعندما يتحدث بيريس في كتابه عن الشرق الأوسط الجديد الذي يريده، فإنه يريد أن يحول الصراع العربي - الإسرائيلي من صراع تقليدي، إلى صراع بين العرب واليهود على المصالح المشتركة، عن طريق ربط العرب والإسرائيليين بتلك المصالح المشتركة [٢٩، ص٧٥].

وهذا يتطلب تغيير في الخطاب الرسمي الإسرائيلي من أجل خلق رأي عام لا ينظر إلى العرب تلك النظرة العنصرية والفوقية السائدة في المجتمع الإسرائيلي منذ السنوات الأولى للصراع. والبداية لابد أن تكون من خلال تغيير في مناهج التدريس الإسرائيلية التي تسيطر عليها وزارة المعارف، وبشكل خاص اليمين الإسرائيلي والأحزاب الإسرائيلية المتطرفة والجماعات الدينية. مما سمح لها بفرض تصوراتها على العملية التعليمية والتحكم بالمناهج التدريسية التي لا تزال تصور الإنسان العربي بصورة سلبية ومشوهة. ويلاحظ من خلال تحليل بعض المناهج الدراسية الإسرائيلية، التي أجريت في مطلع عام ١٩٩٧، أي بعد أشهر من وصول اليمين الإسرائيلي للسلطة، وبعد ٢٠ سنة من التوقيع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، أن تلك المناهج لم تتغير في النظر إلى العرب، بنفس النظرة المعادية التي كانت موجودة في سنوات الصراع. ومثال على ذلك ما جاء في كتاب "تحولات في جغرافيا الشرق الأوسط" تأليف أرتون سوفر، والصادر عن وزارة المعارف الإسرائيلية في عام ١٩٨٤، وأعيد طباعته في عام ١٩٩٥. حيث تناول مسألة العلاقة بين إسرائيل والدول العربية. وأظهر الكاتب العالم العربي بأنه متخلف، كما سعى إلى تحقير شأن العرب مسؤولين وشعوب، وأنهم يهددون الأمن والاستقرار في إسرائيل. إلى حد وصف الزيادة السكانية في مصر بأنها تهدد وجود إسرائيل، كما أن نقص المياه في مصر قد يكون له أبعاد خطيرة على الأمن الإسرائيلي [٣٠، ص١٢٤و١٢٥].

وفي مقرر الأدب العبري للطلبة اليهود في المدارس الدينية من سلسلة "المجموعة الرائعة عن الأرض الطيبة" الصادر عن وزارة المعارف الإسرائيلية في عام ١٩٨٦، ومازال يدرس للآن، قطعة نثرية من تأليف جولد شتاين بعنوان "لقاء ورد" يسأل شخص يدعى يوسف عجوز يهودي:

"أين هم الفلسطينيون الآن، فيجيب لا يوجد فلسطينيون في المدن والقرى في إسرائيل، لأن كل سكانها يهود، ويتكلمون العبرية، وحتى اليهود الذين قدموا من العراق والمغرب وبولونيا ورومانيا يتكلمون العبرية. وأما الفلسطينيون فقد قرأنا عنهم في التوراة أنهم كانوا يسببون

المتاعب والآلام لأبنائنا، وأننا لم نعد نشاهدهم هنا منذ زمن طويل. وأن العرب في هذه المنطقة قليلون جدا، فهم لا يأتون إلى هنا إلا يوم الخميس من أجل أن يبيعوا فقط"[٣١، ص٣٠].

وفي دراسة حديثة أعدها البروفيسور الإسرائيلي دانيئيل بارطال من جامعة تل أبيب، في مطلع عام ١٩٩٧ أي بعد وصول اليمين الإسرائيلي بزعامة نتنياهو إلى السلطة. توصل الباحث بعد مراجعة ١٤٢ من كتب التدريس المعتمدة في مختلف مراحل التعليم الابتدائية والإعدادية والثانوية لمواد التاريخ والآداب والجغرافيا، بأن تلك الكتب ما زالت تعبر عن القناعات التي سادت في المجتمع الإسرائيلي قبل ٣٠ سنة. وأن الإنسان العربي ما زال يقدم في مناهج التعليم، بعد التوقيع على اتفاقية السلام مع مصر قبل ٢٠ سنة، وعلى اتفاقية أوسلو، بصورة مشوهة عن طريق تقديمه إما على صورة جندي عدواني شرير، أو فلاح جاهل متخلف. وأكد بارطال على أن المناهج التعليمية الإسرائيلية لم تعكس المتغيرات التي طرأت على الصراع العربي ـ الإسرائيلي منذ زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس في عام ١٩٧٧. وأن السلام لايزال يعرض في كتب الدراسة الإسرائيلية على أنه فكرة خيالية غير واقعية [٣٢].

ولهذا، فإذا أرادت إسرائيل أن تكون جزءا من الشرق الأوسط عليها أن توقف تشويه صورة العرب في الفكر الإسرائيلي، وهذا يؤدي إلى خدمة أهدافها الاستراتيجية. لأن تنقل الإسرائيلي في المستقبل ـ وهو ما تطمح إليه إسرائيل ـ بين العواصم والمدن العربية، سوف يواجه بحقائق، عندما يلتقي بالإنسان العربي، تختلف كلية عما قرأ عنه في الفكر الإسرائيلي.

كما أنه من المفروض أن تقوم إسرائيل بتغيير مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية التي تسيطر عليها الحكومة الإسرائيلية، والتي تصف العرب بأقذر الصفات. وأن تمنع الكتب والقصص التي تشوه صورة العرب، حتى يتحقق التعايش بين شعوب المنطقة. ويقود هذا التيار يحزقئيل درور، الذي يدعو إلى إبقاء العلاقة مع العرب تحت المراقبة المستمرة. ويهوشفاط هركابي، رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق، وخبير بالقضايا

الإستراتيجية والعلاقات العربية ـ الإسرائيلية، والذي طور مواقفه من العرب بعد التسوية، وبات أكثر موضوعية في كتاباته. وعاموس عوز الذي انتقل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وأصبح من أنصار حركة السلام الآن، ويطالب بإقامة دولة فلسطينية، وعودة الوجود الفلسطيني إلى القدس، لأنه حسب تعبيره:

"وجودا أصيلا، ولا شرعية في طرده، ولا هدوء يمكن أن يسود إذا لم يتحقق هذا الوجود مرة ثانية" [١٨].

ثانيا: على صعيد موقف الأحزاب اليمينية والدينية الإسرائيلية المتطرفة

لم تغير هذه الأحزاب مواقفها السابقة، في تشويه صورة العرب، في أدبياتها وفكرها، بعد التوقيع على اتفاقيات السلام بين إسرائيل ومصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، وبعد وصولها إلى السلطة. وعلى الرغم من وجود تيار يهودي جديد، قاده فيلسوف إسرائيل ييشاياهو ليبوفتش Yeshayahu Leibouvitz، ضد التيار الديني المتطرف والداعي إلى إقامة (إسرائيل الكبرى). إلا أن الأحزاب الدينية والقومية اليمينية مستمرة في نظرتها للعرب وفي معاداتهم، ولم تغير في أدبياتها من النظر إلى العرب نفس النظرة العنصرية السابقة قبل مسيرة التسوية. وكان ليبوفتش قد انتقد مواقف تلك الأحزاب ودعوتها إلى سيطرة إسرائيل على العرب، ودعا إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، وإلا فإن استمرار الاحتلال سوف يؤدي إلى انهيار تدريجي للدولة اليهودية. كما فرق بين الثقافة اليهودية والأرض اليهودية وتحديد علاقة كل منهما بالهوية اليهودية، وأن اليهودية ليست أرضا ولم تكن أرضا في يوم من الأيام، وإنما هي وعي وارتباط بالثقافة الذاتية اليهودية. وأن ارتباط اليهودية بالتراث الديني والتاريخي القائم على عنصر التفوق والعنصرية ضد الآخرين ومنهم العرب، هو ارتباط باطل [٣٣].

ولكن اليمين الإسرائيلي لم يغير موقفه من العرب، بعد عملية السلام، ومازال يرفض تغيير هدفه الأول بإقامة إسرائيل الكبرى، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة

وإقامة الدولة الفلسطينية. ويركز في أدبياته على الأبعاد التاريخية والدينية في علاقة اليهود بـ "أرض إسرائيل " وما يمثل ذلك من كسر العلاقة بين "الرب والشعب والأرض". بل إن اليمين الإسرائيلي المتطرف الذي اغتال رئيس الوزراء السابق اسحق رابين، بحجة تنازله عن "أرض إسرائيل"، مما توجب سفك دمه، لم يغير موقفه من العرب ومن تشويه صورتهم، خاصة بعد العمليات الانتحارية التي حدثت في القدس وعسقلان وتل أبيب في شهر آذار/مارس ١٩٩٦، وفي آذار / مارس ١٩٩٧، ضد أهداف إسرائيلية. ويعترف أحد زعماء حركة غوش ايمونيم المتطرفة، بأن التسوية مع العرب لن تؤدي إلى تحقيق السلام معهم، وأن من يعتقد بأن:

"السلام سوف يحل في هذا الجيل، إنما يعيش في وهم وحلم" [١٢].

ومن أنصار هذا التيار اليعازر والدينبرغ، الحائز على جائزة الدولة لعام ١٩٧٦، والذي لم يغير موقفه من العرب بعد مسيرة السلام، ودوب ليثور، حاخام مستوطنة كريات أربع بالقرب من الخليل، الذي أفتى قبل مجزرة الحرم الإبراهيمي، يبيح فيها للمستوطنين قتل المواطنين الفلسطينيين. وزعيما حركة كاهانا، بنيامين زيف كاهانا، وحركة كاخ، باروخ مارزل. وقادة معظم الأحزاب الدينية المتطرفة [٦].

ولكن يبقى زعيم تكتل الليكود اليميني ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو، أفضل مثال على هذا التيار ولما ما يختزنه مسؤول إسرائيلي من أفكار عنصرية معادية للعرب. ففي كتابه "A Place Among the Nation" الذي كتبه في عام ١٩٩٥، أي قبل وصوله لرئاسة الحكومة الإسرائيلية بفترة قصيرة، وبعد اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين وإسرائيل، أظهر نتنياهو حقد وكراهية واضحة لكل ما هو عربي ومغالطات فاضحة عن العرب. ولم تختلف وجهة نظره عن وجهات نظر رواد الحركة الصهيونية الذين تحدثوا عن فلسطين الخالية من السكان واليهود كشعب من دون وطن. ويقول نتنياهو في هذا المجال بأن اليهود:

"لم يجدوا عند عودتهم إلى أرض إسرائيل، سوى الخراب وعدد قليل من السكان... وبأن العرب الذين أقاموا ١٢٠٠ سنة على أرض إسرائيل، لم يقيموا أي مدينة جديدة سوى مدينة الرملة" [٣٤، ص٦٣].

وفي الوقت الذي أشاد فيه رئيس الوزراء الإسرائيلي باليهود وبأن وجودهم في فلسطين هو الدليل "على وجود الله"، هاجم العرب، ووصفهم بأنهم غير مستعدين للديمقراطية، لأنها:

"لا تنسجم مع الإسلام، ولأن أسلوب التعذيب وقطع الأعضاء الجسدية والعبودية وعدم حرية الصحافة لا تعتبر استبدادا أبدا عندهم" [٣٤، ص٣٧٤].

كما وصف الفلسطينيون بأنهم إرهابيون، وبأنهم استطاعوا أن يخدعوا الدول الديمقراطية على الرغم من أنهم:

"إرهابيون واستبداديون قتلوا مواطنين غربيين طيلة عشرات السنين"[٣٤، ص٢٧١].

كما ركز على أن العرب لا يريدون السلام مع إسرائيل، بل يريدون تدميرها في أية لحظة يستطيعون ذلك، ولهذا، فإن على إسرائيل أن تحافظ على تفوقها العسكري مع العرب [٣٤].

ثالثا: على صعيد معسكر السلام الإسرائيلي

الذي بدأ ينمو في السنوات الأخيرة في المجتمع الإسرائيلي، خاصة منذ الانتفاضة الفلسطينية. فقد كانت له مواقف معتدلة ومتفهمة من العرب، ويمكن أن يلعب هذا التيار، دورا مهما في تغيير الفكر الإسرائيلي من نظرته للعرب في المستقبل. ويستطيع أن يخاطب العرب، بخطاب سياسي جديد، بعيدا عن العنصرية والرغبة في التفوق عليهم وتشويه سمعتهم. وبإمكانه أن يضغط على الحكومة الإسرائيلية من أجل إيقاف محاولات الأحزاب الدينية المتطرفة، من التعرض للعرب بالطريقة التي كانت سائدة من قبل. خاصة أن معظم الأحزاب الدينية يأتيها دعم مادي من الحكومة الإسرائيلية. وسوف تنعكس نتائج التطرف الديني في إسرائيل، ليس على العرب وعلى نجاح عملية السلام فقط، بل على الإسرائيليين أنفسهم. ويبدو أن مثل هذا التحرك قد بدأ فعلا، بعد اغتيال رئيس وزراء إسرائيل السابق اسحق رابين في عام ١٩٩٥، على أيدي المتطرف اليهودي إيغال عامير.

حيث أثارت عملية الاغتيال التي هي الأولى في التاريخ الإسرائيلي الحديث، ردود فعل واسعة داخل المجتمع الإسرائيلي، ضد الأحزاب القومية والدينية المتطرفة. وقد دعا إيلان غريسمر Ilan Greilsammer أستاذ العلوم السياسية في جامعة بار إيلان Bar - Ilan التي كان يدرس فيها قاتل رابين، في مقالة له في صحيفة الموند Le Monde الفرنسية، إلى محاربة التيار الديني المتطرف في إسرائيل وقال:

"لقد آن الأوان لحل الجماعات المتطرفة ووضع أعضائها في السجن وتفكيك خلاياها الإرهابية دون تردد أو رحمة" [٣٥].

كما كتب الروائي الإسرائيلي ديفيد غروسمان David Grossman بعد اغتيال رابين يقول:

"إن عملية السلام التي قادها رابين لم تكن غايتها القضاء على العنف القائم بيننا وبين أعدائنا فقط، بل كانت غايتها أيضا، أن نستطيع التحرر مما أحب أن أسميه في كثير من الخوف ـ المرض الإسرائيلي ـ وأعني به ذلك الحقد المعشش في أعصابنا، وذلك التوتر الذي يهز كياننا هزا مستمرا وقاتلا" [٣٦].

وإذا تمكن التيار الإسرائيلي الداعي إلى نبذ الإرهاب اليهودي ضد العرب واليهود، من التغلب على التيار الآخر، بحيث يستطيع أن يستوعب مداخل عملية السلام واستحقاقاتها، ويعبر عنها كمخارج في تغيير الأسس التي كانت قائمة عليه الفكر والثقافة الإسرائيلية المعادية للعرب، فإن عملية السلام سوف تستمر. أما إذا تغلب التيار اليميني والقومي المتطرف، فإنه سوف يفرض أفكاره ومبادئه المعادية للعرب على المجتمع الإسرائيلي، وعندها فإن الفكر الإسرائيلي سوف يستمر في تشويه صورة العربي. مع العلم أن محاربة النزعة الدينية والقومية المتطرفة في الفكر الإسرائيلي سوف يخدم التسوية واستمرارها. كما أن إسرائيل لن تنجح في إقامة علاقات سياسية وثقافية واقتصادية مع العرب بشكل طبيعي، من دون حدوث تغيير جذري في وجهة نظر الفكر الإسرائيلي من العرب.

ومن أنصار هذا التيار، داعية حقوق الإنسان إسرائيل شاحاك، الذي فضح في كتابه "التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة" الصادر في عام ١٩٩٥، موقف المتدينين اليهود العنصري من العرب [٣٧]. والمحلل العسكري الإسرائيلي زئيف شيف الذي كتب كتاب عن الانتفاضة. واللواء احتياط والباحث في مركز يافا للدراسات الإستراتيجية ورئيس جامعة بن غوريون في النقب من عام ١٩٨١-١٩٨٥، شلومو غازيت، كبير الباحثين في مركز يافا، والذي كان حاكما عسكريا للضفة الغربية، وكتب عن الصراع على المياه في الشرق الأوسط، ونشر عدة كتب عن الفلسطينيين وسوريا. وعاموس عوز، الذي غير من مواقفه المعادية للعرب في رواياته التي كتبها في الأربعينات والخمسينات (انظر صفحة ٣٦٢ من الدراسة) إلى دعوته للاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بإقامة دولته المستقلة، بعد أن أصبح من أنصار حركة السلام الآن [٣٨].

مقارنة لاستطلاعات الرأي العام الإسرائيلي قبل وبعد التسوية

يعتبر الرأي العام متقلب ومتغير تبعا للتطورات والأحداث التي تمر عليه، وقد ظهر ذلك بشكل واضح بعد اغتيال اسحق رابين، حيث أظهرت استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي ارتفاعا كبيرا في شعبية شمعون بيريس الذي خلفه في رئاسة الوزراء. ولكن هذه الشعبية سرعان ما تراجعت لمصلحة المعارضة اليمينية بزعامة نتنياهو، الذي انتخب من قبل الإسرائيليين، رئيسا للحكومة، بعد العمليات الانتحارية التي قامت بها حركة حماس والجهاد الإسلامي في القدس وعسقلان وتل أبيب في شهر آذار / مارس ١٩٩٦. مما يثبت صحة النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا، بأن غالبية الإسرائيليين لا يريدون السلام، وبأنهم ما زالوا ينظرون للعرب نظرة عنصرية ومعادية. وفي ظل الظروف العادية، فإن الرأي العام يتأثر بالفكر السائد في المجتمع. ولقد تبين للباحث، أن الفكر الإسرائيلي يصبح بمثابة المدخلات في تكوين صورة الشخصية العربية لدى الرأي العام، ومواقف الرأي العام الإسرائيلي هي المخرجات لهذا الفكر. ونتيجة لذلك، فإن قياس استطلاعات

الرأي العام يعتبر مؤشرا مهما من أجل التعرف على تأثيرات مكونات الرأي العام على القضايا السياسية المتعلقة بالعرب في مرحلتي الصراع والتسوية.

ولهذا، يلاحظ من خلال مقارنة مواقف الرأي العام الإسرائيلي، قبل وبعد مسيرة السلام، من قضايا التسوية والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية، وجود تغيير عند الرأي العام الإسرائيلي من هذه القضايا. ولكن هذا التغيير لم يصل بعد إلى مرحلة التأثير في إيجاد تحولات ملموسة في مواقف الرأي العام الإسرائيلي. ولهذا فإن نتائج الانتخابات الأخيرة التي جرت في منتصف عام ١٩٩٦، والتي نجحت فيها الأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة والمعادية للعرب، أظهرت بوضوح أن المجتمع الإسرائيلي ما زال بعيدا عن تلك التحولات نحو معسكر السلام. ومن تحليل عدة استطلاعات للرأي العام الإسرائيلي الصادرة عن مركز يافا الإسرائيلي للدراسات الإستراتيجية، تحت عنوان "المسيرة السياسية والرأي العام الجماهيري"، يلاحظ تطورات مهمة عند الرأي العام الإسرائيلي. حيث ارتفعت نسبة المؤيدين لإعادة الأراضي العربية مقابل السلام من ٤٠٪ عام ١٩٨٦ إلى ٦٠٪ عام ١٩٩٣. ونسبة التأييد للدولة الفلسطينية من ٢٠٪ عام ١٩٨٧ إلى ٣٩٪ عام ١٩٩٥. وارتفعت نسبة الذين يعتقدون أن الدولة الفلسطينية ستقوم في نهاية المطاف من ٣٧٪ عام ١٩٩٠إلى ٧٥٪ عام ١٩٩٥. كما ارتفعت نسبة المؤيدين لمواصلة المفاوضات مع منظمة التحرير من ٥٣٪ عام ١٩٩٢ إلى ٦٠٪ عام ١٩٩٤. وكانت نسبة المؤيدين للاتفاق مع المنظمة متساوية مع نسبة المعارضين في عام ١٩٩٢، حيث بلغت ٣٦٪، ولكنها ارتفعت في عام ١٩٩٤ لتصبح ٤٣٪ لصالح المؤيدين مقابل ٣٢٪ للمعارضين. وارتفعت نسبة المتشددين المطالبين بإعدام الفدائيين الذين أدينوا بالقتل في عام ١٩٩٥ لتصل إلى ٧٥٪، بينما كانت ٥٣٪ في عام ١٩٩٠. ويلاحظ أن الشعور بالخطر ازداد عند اليهود في عام ١٩٩٥. وعند السؤال عن أنسب الطرق لمنع الحرب، فإن الأغلبية فضلت تعاظم قوة إسرائيل العسكرية على الاستمرار في محادثات السلام.

وفيما يتعلق بموقف اليهود الذين شاركوا في الاستطلاع من العرب، فقد حدث تغيير في تلك المواقف من سنة لأخرى، حيث أجاب ٥٠٪ في عام ١٩٩١، بأن غالبية العرب تسعى إلى إبادة إسرائيل وقتل اليهود، بينما انخفضت النسبة التي أجابت على نفس السؤال في عام ١٩٩٥، إلى ٣٩٪. وفي عام ١٩٩٥ اعتقد ٢٥٪ من الذين أجري معهم الاستطلاع بأن العرب يريدون (احتلال إسرائيل) واعتقدت نسبة مئوية مماثلة أن العرب يريدون إعادة المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧[٣٩].

جدول مقارنة لاستطلاعات الرأي العام الإسرائيلي من القضايا المتعلقة بالسلام[٣٩].

الموضوع	قبل مسيرة السلام	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥
تأييد المفاوضات مع منظمة التحرير		٪٥٣		٪٦٠	
تأييد الاتفاق مع منظمة التحرير		٪٣٦		٪٤٣	
عدم تأييد الاتفاق مع منظمة التحرير		٪٣٦		٪٣٢	
المؤيدون لاتفاق أوسلو			٪٥٣	٪٤٣	٪٣٦
المؤيدون قيام دولة فلسطينية	٪٢٠			٪٣٧	٪٣٩
توقع قيام دولة فلسطينية	٪٣٧			٪٧٤	٪٧٥
مع إزالة المستوطنات			٪٢٦	٪٣٤	
تأييد مبدأ الأرض مقابل السلام	٪٤٠		٪٦٠		

الخلاصة

يلاحظ أن موقف الإسرائيليين المعادي للعرب لم يأت بعد قيام إسرائيل، بل تعود جذوره إلى نشأة الحركة الصهيونية قبل أكثر من مائة عام في أوروبا. أي أن اليهود المهاجرين من أوروبا إلى فلسطين، جلبوا معهم مواقفهم العنصرية ضد العرب نتيجة تأثرهم بما كان سائدا في الدول الاستعمارية الأوروبية من فكر عنصري شوفيني ضد الأمم

الأخرى غير الأوروبية. وأيضا نتيجة لتأثرهم بزعماء الفكر الصهيوني الذين بنوا أفكارهم على ما كان سائدا في أوروبا، وبالتراث الديني والتاريخي لليهود.

وبعد قيام إسرائيل استمر الفكر الإسرائيلي الذي ورث عن الأيديولوجية الصهيونية نظرته العنصرية ضد العرب، في تشويه صورة الإنسان العربي عن طريق ما يكتبه المفكرون الإسرائيليون والأدباء ومناهج التعليم الرسمية. وخلق ذلك نوعا من المواقف المعادية لكل ما هو عربي، ونشأ جيل إسرائيلي متأثر بالفكر العنصري الإسرائيلي ضد العرب، وينظر إليهم نظرة فوقية كلها كراهية وحقد. وأصبح رأي الإسرائيلي في العربي واضح وصريح، ويظهر ذلك من خلال الممارسات اليومية التي يقوم بها جنود الاحتلال الإسرائيلي ضد العرب في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي جنوب لبنان. وكذلك من خلال تصريحات وممارسات المسؤولين الإسرائيليين، مثل ما صرح به وزير إسرائيلي من أن الفلسطينيين ليسوا بحاجة إلى المياه لأنهم لا يغتسلون كثيرا مثلما يفعل الإسرائيليون. وتصريحات وزير الخارجية الإسرائيلي السابق يهود باراك في واشنطن، أمام حشد من اليهود الأمريكان في مطلع عام ١٩٩٦، بأن إسرائيل تعيش:

"داخل فيلا في الأحراش وأن هذه الفيلا تتسم بالثراء وتحتوي على حضارة وتكنولوجيا، وخارج نافذة الفيلا تسري قوانين وقواعد أخرى مغايرة، حيث لا مكان أو حق للضعفاء".

كما أنه كان قد وصف قبل ذلك، الزعماء العرب بأنهم "جلابيب" [٤٠].

وتبين للباحث، أنه من دون تشويه الفكر الإسرائيلي للشخصية العربية، لم يكن من الممكن أن تكون ممارسات الإسرائيليين ضد العرب بهذا الشكل، لأن الفكر العنصري المسيطر على الثقافة والأدب والتعليم في إسرائيل هو الذي يقود طريقة تعامل الإسرائيليين وممارساتهم العنصرية مع العرب طيلة سنوات الصراع العربي ـ الإسرائيلي. وإن تحقيق التعايش السلمي بين العرب وإسرائيل يبقى أمرا صعبا دون حدوث تحول واضح وملموس في معالجة الفكر الإسرائيلي للشخصية العربية. لأن استمرار تشويه الإنسان العربي في الفكر الإسرائيلي في مرحلة التسوية، يعني استمرار خلق رأي عام إسرائيلي معاد للعرب كما

كان في مرحلة الصراع. وهذا لن يؤدي إلى القضاء على العامل النفسي في الصراع العربي الإسرائيلي. وسيظل العرب يشعرون أنهم مهددون بالفكر والممارسة من الجماعات الإسرائيلية الدينية والقومية المتطرفة، التي تطالب في أدبياتها وممارساتها بقتل العرب وطردهم وإقامة (إسرائيل الكبرى) في وطنهم. وتبيح قتل الفلسطينيين، حسب ما جاء في الفتوى الدينية التي أصدرها بعض حاخامات اليهود، بعد الانتخابات الفلسطينية التي جرت في ٢٠/١/١٩٩٦، استنادا إلى نصوص توراتية.

ويعتقد الباحث، أن استمرار هذه السياسة، لن يؤدي إلى نجاح مسيرة السلام، بل على العكس، سيؤدي حتما إلى تقويض عملية السلام بكاملها، وإلى استمرار الصراع في المنطقة. ولن يكون تحقيق التسوية والتعايش السلمي من الممكن حدوثه، ولا لعملية تطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل أن تنجح، إلا إذا حدث تغيير حقيقي، في موقف الفكر الإسرائيلي من الشخصية العربية. ومن أجل تحقيق ذلك، فإن هناك احتمالين من الممكن حدوثهما: الاحتمال الأول، تحقيق ما يسمى الابتعاد المتبادل، أي بقاء كل طرف من أطراف الصراع، العربي والإسرائيلي، على مواقفه السابقة. ومن دون أن تؤثر التسوية على الأطراف المعنية، وهذا سيؤدي إلى مستقبل قاتم في العلاقات العربية الإسرائيلية. وهو ما حدث في ظل سياسة حكومة نتنياهو اليمينية، كان آخرها توقف مفاوضات السلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي بسبب سياستها الاستيطانية بعد موافقتها على إقامة مستوطنة أبو غنيم جنوب مدينة القدس. والاحتمال الثاني، حدوث التكيف المتبادل، الذي من الممكن أن يؤدي إلى تطور في مواقف الطرفين خلال السنوات القادمة باتجاه قبول ومراعاة الطرف الآخر. حيث يرضى العرب بإسرائيل كأمر واقع، ويتعايشون معها، وتتخلى إسرائيل عن عدوانيتها ونظرتها العنصرية للعرب، وتوافق على أن تكون دولة مسالمة غير توسعية في المنطقة، مما يؤدي إلى تغيير في فكرها وأيديولوجيتها وممارساتها. وهذا الاحتمال يبدو أنه مازال بعيدا، لأنه يتطلب أن تحارب إسرائيل، النزعة الدينية والقومية المتطرفة في الفكر الإسرائيلي، مما سيؤدي إلى تحسين صورتها عند الرأي العام العربي.كما

أن إسرائيل لن تنجح في إقامة علاقات سياسية وثقافية واقتصادية مع العرب بشكل طبيعي، من دون حدوث تغيير جذري في وجهة نظر الفكر الإسرائيلي من العرب. وهذا ما يحدث حاليا بعد وصول نتنياهو واليمين الإسرائيلي إلى السلطة، وما كان يطمح شمعون بيريس رئيس وزراء إسرائيل السابق من تحقيقه، وهو إقامة سوق شرق أوسط جديد في المنطقة لم يحالفه النجاح، ليس بسبب الرفض العربي، بل بسبب تفضيل الناخب الإسرائيلي المتشبع بالفكر والثقافة المعادية للعرب، انتخاب القيادة الإسرائيلية الرافضة تحقيق تسوية حقيقية في الشرق الأوسط. وبدلا من دعوة إسرائيل العرب لكي يطبعوا العلاقات معها، ويغيروا مناهج التعليم العربية التي تصف إسرائيل بالعدوة. على إسرائيل أن تبدأ بنفسها وتغير موقف الفكر الإسرائيلي من الاستمرار في تشويه الشخصية العربية، حتى ينجح التعايش السلمي بين العرب وإسرائيل. لأنه من المفروض أن يواكب الفكر الإسرائيلي التغييرات والتحولات السياسية في المنطقة. ووجهة نظر الفكر الإسرائيلي من العرب الذي كان في مرحلة الصراع، يجب ألا يستمر في عهد التسوية، هذا إذا أرادت إسرائيل فعلا لعملية السلام أن تنجح وتدوم.

المراجـــع

[١] المسيري، عبد الوهاب. *الأيديولوجية الصهيونية*. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨م.

[٢] القشطيني، خالد. *الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.

[٣] Terry, Janice. "Zionist Attitudes Toward Arabs," Beirut, *Journal of Palestine Studies*, vol.. 5, No. 3, Autumn (1976), 70 -71.

[٤] Garaudy, Roger. *Les Mythes Fondateurs de la Politique Israelienne*. Paris; Samiszdat, 1996.

[٥] سرية، صالح عبد الله. *تعليم العرب في إسرائيل*. بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، ١٩٧٢م.

[٦] الشامي، رشاد عبد الله. *الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية*. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٦م.

[٧] سالم، نادية. *صورة العرب* والإسرائيليين *في الولايات المتحدة الأمريكية*. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٨م.

[٨] عبد الله، إسماعيل. *في مواجهة إسرائيل*، ط٢. بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

[٩] هرتزل، تيودور. *يوميات هرتزل*. بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٦٨م.

[١٠] Herzel, Theodore. *The Jewish State, An Attempt at a Modern Solution of The Jewish Question*. London, 1934.

[١١] رزوق، أسعد. *إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني*. بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٦٨م.

[١٢] اغبارية، مسعود و أبو غزالة، محمود. *حركة غوش ايمونيم بين النظرية والتطبيق*. القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٤م.

[١٣] Patai, Raphael. *The Arab Mind*. New York: Charles Scribner's Sons, 1973. ترجم الكتاب وعلق عليه محي الدين صبحي. تحت عنوان: *ملامح الشخصية العربية في التيار الفكري المعادي للأمة العربية*، الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م.

[١٤] Harkabi, Y. "Basic Factors in the Arab Collapse During the Six Day War," Orbis, *Quarterly Journal of World Affairs*, Washington, vol. XI, No..3, Fall 1967.

نقلا عن كتاب ياسين، السيد. *الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر*. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م، ص ص١٢٩-١٤٠.

[١٥] Heradvsteit , Daniel . "Israel Elite Perceptions of the Arab – Israeli Conflict," *Journal of Palestine Studies*, Beirut, vol. No..3, 68-93.

نقلا عن كتاب ياسين، السيد. *الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر*. ص ص١٤٥-١٦٦.

[١٦] دومب، ريزا. *صورة العربي في الأدب اليهودي*، ترجمه عن العبرية عارف عطاري. عمان، دار الجليل للنشر، ١٩٩٠م.

[١٧] صميدة، محمود. "الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة،" *مجلة عالم الفكر*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، المجلد٢٤، العدد الثالث، يناير/مارس١٩٩٦.

[١٨] أبو بكر، وليد. *صورة العربي في الأدب العبري*. عمان، دار الكرمل، ١٩٩٦.

[١٩] الأسمر، فوزي. "الشخصية العربية في قصص الأطفال العبرية التجارية." من كتاب *الأبعاد التربوية للصراع العربي-الإسرائيلي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م.

[٢٠] مزعل، غانم. *الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث (١٩٤٨-١٩٨٥)*. عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٦م.

[٢١] هلسا، غالب. *نقد الأدب الصهيوني*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م.

[٢٢] كوهين، ادير. *وجه بشع في المرآة: انعكاس الصراع اليهودي-العربي في أدب الأطفال العبري*، مترجم عن العبرية. تل أبيب: رشا فيم، ١٩٨٥م.

[٢٣] وجواستيردي، فلوسر. "*روما في عظمتها وسقوطها، العرب والإسلام*." يافا: مناهج التعليم التابعة لوزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، ١٩٧٠م. وردت في دراسة للدكتور غازي ربابعة بعنوان "اتجاهات التعليم في إسرائيل صادرة عن الجامعة الأردنية،" كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، عمان، ١٩٨٥-١٩٨٦م.

[٢٤] رءوف، علي. "نظرة الإسرائيليين وإلى أنفسهم والى الشعوب الأخرى، وخاصة العرب" من كتاب: *الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م.

[٢٥] *The Times,* London , April 12 , 1971.

[٢٦] الأسمر، فوزي. *عربي في إسرائيل*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.

[٢٧] صحيفة دافار *الإسرائيلية، ١٩٨٩/٦/٨م*.

[٢٨] "*العنصرية بين الشباب اليهودي*." يافا: مركز يافا للتوثيق والخدمات الإعلامية، ١٩٨٧.

[٢٩] Peres, Shimon. *The New Middle East.* New York: Henry Holt & Company, 1993.

[٣٠] سوفر، ارنون. *تحولات في جغرافية الشرق الأوسط.* تل أبيب: وزارة المعارف الإسرائيلية، ١٩٩٥.

[٣١] شتاين، جولد. *المجموعة الرائعة عن الأرض الطيبة*، ط ٣. تل أبيب: وزارة المعارف الإسرائيلية، ١٩٩٦م.

[٣٢] *نشرة القدس برس*. القدس: ١١/٣/١٩٩٧م.

[٣٣] Leibouitz, Yeshayahu. *Peuple, Terre, Etat.* Paris: Ed. Plon, 1995.

[٣٤] Netanyahu, Benjamin. *A Place Among The Nation.* Tel Aviv: Yadouaout Ahranout, 1995.

[٣٥] *Le Monde*, Paris, 13 Nov. 1995.

[٣٦] *Liberation*, Paris, 6 Nov. 1995.

[٣٧] شاحاك، إسرائيل. *التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة*. بيروت: بيسان للنشر، ١٩٩٥م.

[٣٨] Aouz, Amous. *Israel, Palestine and Peace*. London: Vintage, 1994.

[٣٩] "*المسيرة السياسية والرأي العام الجماهيري، توجهات متضاربة في الرأي العام الإسرائيلي فيما يتعلق بشؤون الأمن القومي*"، يافا، مركز يافا للدراسات الإستراتيجية، ١٩٩٥م.

[٤٠] صحيفة *الحياة*، لندن: ٢٦/٢/١٩٩٦م.

The Image of the Arabs in the Zionist - Israeli Thought

Ahmad Said Nufal
Political Science Department, Yarmouk University, Jordan

(Received on 18/12/1416, accepted for Publication on 27/12/1417A.H.)

Abstract. This paper is an attempt to analyze the point of view of the Zionist movement and Israeli thought, vis - a- vis , the Arabs, during 1948-1996. The research talks about the European colonialist effect, Jewish religion and history, on the Zionist ideologue.

The initial intention is how the Israeli literature, political-social thought, Jewish literature for Children, and education teaching treat the Arabs.

The Israeli and Zionist thought, had played a damaging image to the Arabs. It showed that they (the Arabs) are backward and described them with different negative qualities. This created an Israeli antagonistic view toward the Arabs. This research intended to shed some lights on the changing views of the Israelis in the aftermath of the peace process. Finally, the research makes a comparison between the Zionist - Israeli thought, before and after the peace process.